مظاهر وسمات العصر
الذى وُلد فيه القرن العشرون

** لما كان الزمن حلقات متصلة متتابعة،
والتاريخ وقائع متشابكة متماوجة ...
فإن ميلاد القرن العشرين هو امتداد لما
سبقه، أو تطوير لما كان قبْله، أو
إضافة إلى ما ورثه عن سلفه ...
وتلك نظرة من قريب على جوانب من
أبرز سمات العصر الذى أفضَى إلى مولده .

* الرسام دولاكروا : الحرية تقود الشعوب .

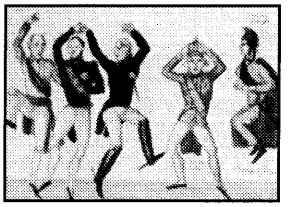

* الملوك يرقصون
فرحا باتفاقية السلام

الإمبراطوريات الكبرى

نقصد بها التى كان لها تأثير واضح على سياسات الأمم وحياة الشعوب، وعلى التغييرات والتحولات الكبرى فى مسار الوقائع والأحداث قبيل شروق شمس القرن العشرين .

كانت الاتفاقات التى صاغها ملوك وأباطرة أوروبا فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، وبضمان سيادة أربع قوىً كبرى أوروبية، هى: النمسا / بريطانيا / بروسيا / روسيا،(ثم ألحقت بها فرنسا) تهدف إلى إقرار السلام الدائم، وإلى عدم اعتداء إحدى هذه الدول على غيرها، أو على ما نالت من أراضٍ بعد تقسيم غنائم الحروب. وساد الظن بأن هذا التوازن بين القوى العظمى سوف يحقق ويصون تلك الأهداف زمناً طويلاً .

* أباطرة وملوك أوروبا فى مؤتمر فيينا للسلام يقتسمون العالم .

لكن سرعان ما اندلعت الانتفاضات الثورية التحررية داخل تلك الدول، وأحرزت نجاحاً فى فرنسا، وبلجيكا، وسويسرا، دون تدخل من جانب دول الاتفاقية .. إذ لم يكن من مصلحتها ذلك .. إلا أنها جميعاً اتجهت نحو الإمبراطورية الشرقية المتداعية«العثمانية » وكلٌّ يطمع فى استلاب أقصى ما يستطيع منها (رغم أنها كانت لا تزال تحتفظ ببعض قوتها وهيبتها)، وأخذوا يثيرون القلاقل والفتن داخل ولاياتها الأوروبية .

شهد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين النزاعات الدائمة ـ التى

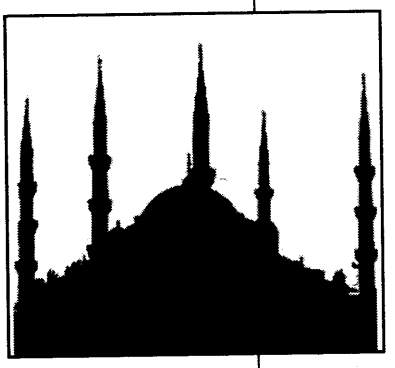

* مسجد سليمان يشرف على العاصمة إستانبول.

* جنود أتراك فى البلقان.

تحولت إلى صراعات دامية ـ بين الدولة العثمانية من جانب، وبين روسيا أو النمسا ـ المجر من جانب آخر، بسبب مناطق أو ولايات خاضعة لإستانبول، نمت فيها روح الوطنية، ورغبة الكفاح من أجل الاستقلال، ووجدت تعضيداً ودفعاً من تلك الإمبراطوريتين، ومن دول أخرى أوروبية .. إلا أن بريطانيا وفرنسا كانتا بالمرصاد للطامعين فى مكاسب من الدولة العثمانية، فأضمرتا معاً اقتسام الغنيمة وحدهما . لذلك .. وقفتا بصلابة إلى جانب الخليفة العثمانى، ودخلتا معه حرب القرم التى شنها القيصر الروسى نيقولا الأول، الطامع فى انتزاع أملاك من الدولة العثمانية فى البلقان، لكنه مات أثناء الحرب، وعقد خَلَفه ألكسندر الأول معاهدة سلام، بعد هزيمة روسيا فى القرم، تتضمن الاعتراف بوحدة أراضى « الإمبراطورية » العثمانية.

* عضَّد مؤتمر برلين توزيع بعض ولايات الدولة العثمانية

ولم يمنع ذلك من استقلال الصرب، ومونتنجرو ، ورومانيا، وبلغاريا، ثم تساليا، واليونان، إلى أن بدأت الدولة العثمانية فى الاحتضار بعد طول انحدار مع اشتعال نيران الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) .

التصنيـــع وآثـــاره

مع نمو وتطور الانطلاقة الأوروبية الكبرى فى التصنيع (التى عُرفت بالثورة الصناعية)، ونزوح أعداد كبيرة من سكان الريف إلى المدن، كان لابد من البحث عن أساليب وبدائل لتوفير الاحتياجات المناسبة من المحاصيل الزراعية ومواد الطعام .

وقد أسهمت العلوم والتكنولوجيا فى توفير ذلك : بابتكارات جديدة، وآلات زراعية حديثة، واختيار أنواع جيدة من البذور والحبوب للزراعة، فزاد إنتاج المحاصيل وتنوع. وابتُكرت كذلك وسائل جديدة لتخزين المحاصيل، وحفظ مواد الغذاء، وتحسين تربية الماشية والأغنام وسلالاتها، وإعادة توزيع الأراضى الزراعية، ونشأت التعاونيات .

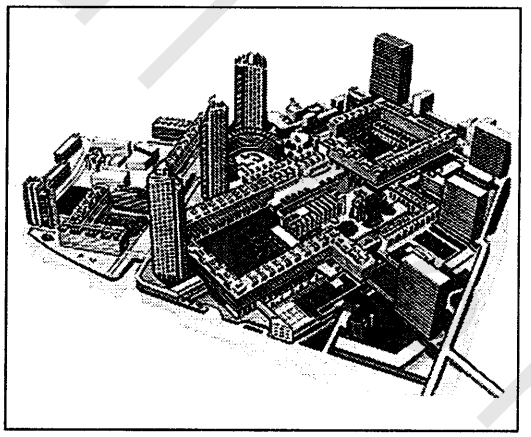

مشروع تجديد حى باربيكان السكنى بلندن

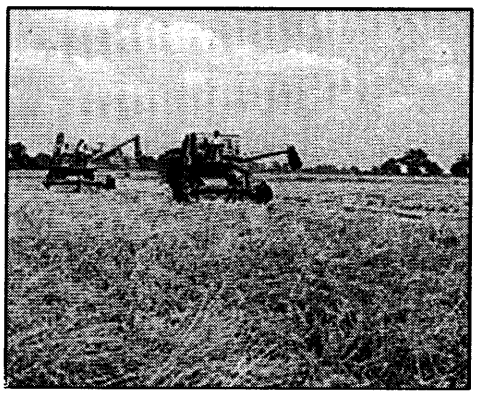

* آلات زراعية جديدة أوائل القرن ٢٠

واتسعت المدن،وأعيد تخطيطها، أو أقيمت بها أحياء جديدة بنظم وأشكال معمارية حديثة متطورة، متسعة الشوارع والطرق، فسيحة الحدائق العامة ومراكز الخدمات .

وصدرت قوانين بإصلاحات اجتماعية، بعد نضال متواصل شديد من فئات الشعب العاملة والمتوسطة والفقيرة ، شارك فيها أدباء، وفنانون، ومفكرون، وسياسيون، وكتاب، ودينيون . وحظى التعليم فى الفترة بين ١٨٨٠ ـ ١٩١٤ بقسط كبير من الرعاية والإنفاق، وتحسنت الصحة العامة .

وفى أواخر القرن ١٩ ، أوائل العشرين، كان السباق بين الدول على مد

* الاحتفال بلقاء خطى سكة حديد الباسفيك والاتحاد بأمريكا

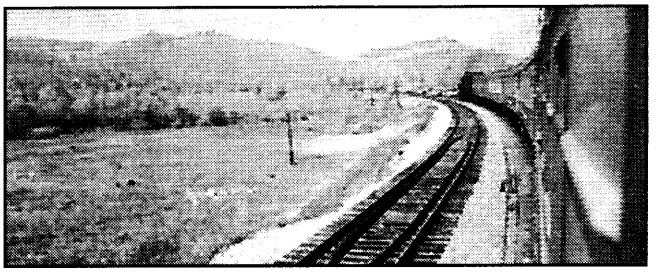

* قطار روسى عبر سيبريا

* كـارل بنـز

خطوط السكك الحديدية، كأفضل وأسرع وسيلة لربط المدن بعضها ببعض، وبالموانىء، والمناطق النائية،فتيسَّر الانتقال والسفر، وامتد التعمير إلى مناطق مُهملة مهجورة، فظهرت مدن وقرى على امتداد تلك الخطوط،وانتعشت أسواق التجارة محلياً وعالمياً، ونشطت الهجرة، فدخل الإنسان مرحلة أُطلق عليها : عصر السرعة .

ثم ظهرت السيارة .. أو « المركبة التى جعلت العالم يمشى على الهواء » ، كما قال « دنلوب » مبتكر الإطارات !.

كانت البداية العملية لاستخدام تكنولوجيا السيارات (أو وضْع طريقة الاحتراق الداخلى على عجلات تجرى على الطرق) مع « كارل بنز » ، و«جوتليب ديملر » فى ألمانيا . من قبلهما كان استخدام البخار فى تحريك

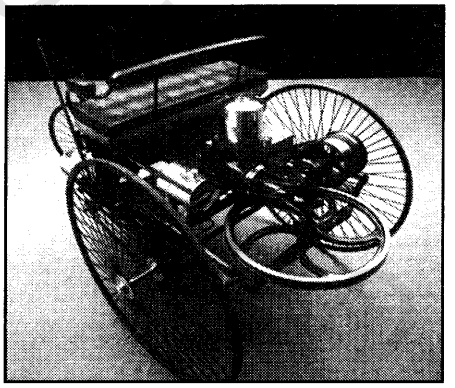

* سيارة طراز بنز عام ١٨٨٥ وهى أول سيارة حقيقية بمحرك غازى وعجلات

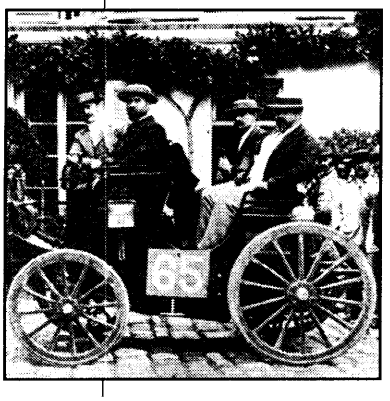

* أول سيارة سباق بيجو عام ١٨٩٤

* إطارات جديدة إعلان عام ١٨٩٥

* أول سباق سيارات فى أمريكا ـ نوفمبر ١٨٩٥

الآلات ودفعها إلى الأمام شيئاً معروفاً ، ومطبقاً فى عدة دول : فى فرنسا، ثم فى إنجلترا ، ثم فى أمريكا، وغيرها .

ثم كانت الآلات الزراعية ذات المحركات البخارية الضخمة هى التى أوحت إلى « هنرى فورد » ـ الأمريكى ـ بفكرة المحركات والتصميمات الجديدة، فكان رائداً فى هذا المجال، ومطوراً مبتكراً. وعندما وصلت إليه فى عام ١٨٩٥ ـ فى ميتشجان ـ سيارة ألمانية من صنع « بنز » انتقدها بشدة، لثقلها، وصعوبة تشغيلها. وفى الوقت نفسه كان الفرنسيون يسارعون بالتقاط المبادرة : « بانار بيجو » ، و « ديون بوتون ». ثم كان شق الطرق الفسيحة المريحة، وابتكار سباق السيارات لجذب أنظار وأموال الناس، وإغرائهم بشراء السيارات .

النقل والمواصلات

منذ أن خرج الإنسان القديم من الكهوف ، وسار على مهل عبْر السهول والوديان، وهو يحلم بابتكار وتنويع وسائل تُريحه من المشى على قدميه، وتنقله بأدواته وأحماله إلى أبعد مدى يريد .. فاستأنس الحيوان، واستخدمه فى حمله ونقل أمتعته وبضائعه وآلاته .

ثم كان اختراعاً ضخماً ـ بعد آلاف السنين ـ أن يصنع العجلة، ويثبتها فى صندوق لتكون « عربة » تحمله وما معه إلى مسافة أبعد، وبجهد أقل، وفى

زمن ـ نسبيًّا ـ أسرع.. فلما شـق الطرق ومهَّدها، أضحى السير فـوقها أيسر وأقرب. ثم جاب الأنهار والبحار طافيـاً فوق الماء، باختراع ألواح الأخشاب أو جـذوع الأشجار ، بضمهـا بعضهـا إلى بعض ، ثم صنع القـوارب والمراكب، فالسفن، وتنقل بين القارات، فأنشأ الموانىء، وشيَّد المدن،فلما اتسع نشاطه، وتعاظمت تجاراته، وتضخمت أموالـه، تعلم كيف يعتدى ويستولى على المدن والموانىء والأراضى، ثم يضم إليه الدول والشعوب. ومن أجل ذلك.. طوَّر فى أسلحتـه وابتكر.. ثم نظر إلى السماء، وتـأمل الطير سـابحـات فى الفضـاء ، فسأل نفسه : لماذا لا يطير ؟ وصار حلماً يراوده منذ ألفى سنة.

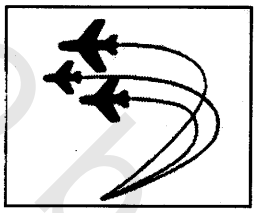

وقبيل نهاية القـرن التـاسع عشر، قَـدَّمَ العلم للمجتمع محرك الاحتراق الداخلى، الذى استُخدم فى السيارات والسفن، ووضع فى يد الإنسان « طاقة » أو قدرة تتيح له أن يحقق حلمه القـديم : التحليق كالطير فى الجو. وعليه الآن أن يفكر فى ابتكار مركبة ملائمة للارتفاع فى الهواء ، والتجول فيه ، ثم العودة بسـلام إلى الأرض . وبالفعل فكر جيداً فى هـذا الأمر، وتدبر علماء وباحثـون مبتكرون فى دول مختلفة من العـالم، خاصة فى أمريكا، وبريطانيـا، وفرنسا، وألمانيا .

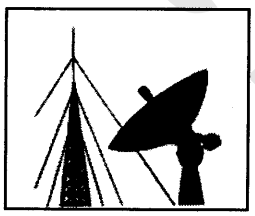

ونجح أخَوان أمـريكيان : « ويلبور،وأورفيـل رايت » فى صُنع « آلة » ذهبا بها ـ سراً ـ إلى مكان منعزل فى ولاية كارولينا الشمالية فـى يـوم مـن شهـر

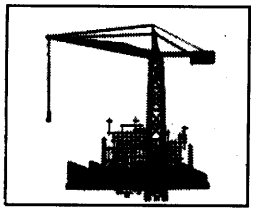

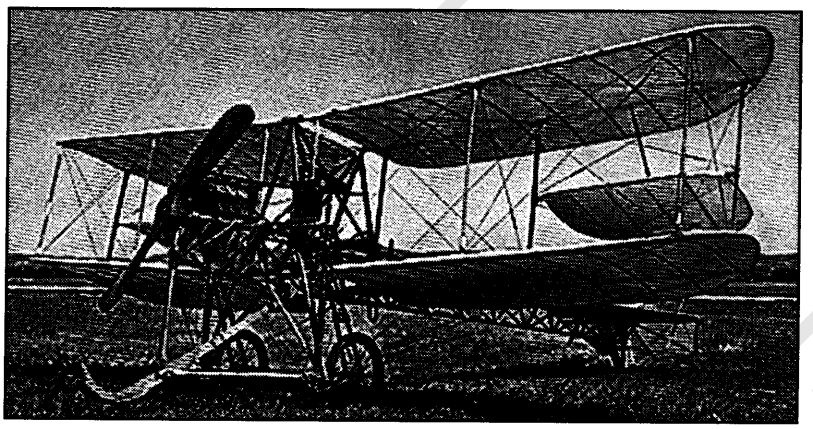

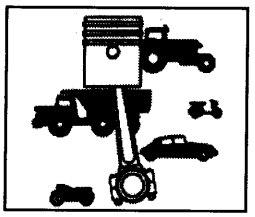

ديسمبر ١٩٠٣، وصعدا بها الجو لمدة إحدى عشرة ثانية ـ فقط ـ ثم هبطا إلى الأرض، فكان ذلك نجاحاً حقق لأول مرة فى التاريخ حلماً ظل كامناً فى النفوس لألفى عام أو يزيد (باستثناء استخدام البالونات الضخمة التى ترتفع فى الهواء بدفع الغاز الساخن داخلها، وكانت معروفة فى القرن الثامن عشر) ، لكن الغريب حقاً، أن أحداً من الناس لم يشهد هذا الحدث التاريخى المدهش الذى حققه الأخوان رايت، حتى إن الكثيرين الذين سمعوا به بعد ذلك لم يصدقوه. والقلائل الذين صدَّقوا،لم يدركوا يومها مدى الآثار التى ستنجم عنه فى المستقبل.. فلما نجح الشاب الفرنسى « بليريو » بعدهما بقليل (٢٥ يوليو ١٩٠٩) فى عبور بحر المانش طائراً، آمن المنكر، وصدَّق المكذِّب، وانتبه الغافل، واستعد العالم كله للتعامل مع الفضاء ـ سلماً وحرباً ـ والتكيف مع «أداة» جديدة مبهرة من أنفع وأخطر أدوات العصر الحديث ..

الأخوان الطياران:
« رايت »

فن العمارة

أقبل القرن العشرون فى زحام كثيف من معالم النمو الصناعى والاقتصادى والسكانى والعمرانى . وبالتالى كانت نهضة معمارية زاحفة ، تُواكب متغيرات العصر وقدراته ومتطلباته .. فأقيمت فى هذا القرن من المنشآت أكثر مما أقيم فى أى قرن مضى.

وابُتكرت أنماط معمارية حديثة ،وتدافعت النظريات البنائية الذكية المتطورة. كما استُحدثت مواد جديدة فى التشييد والبناء ، وبزغ نجم «المهندس » المتخصص ، من خلال المصمِّم المعمارى ، والإنشائى المنفِّذ .

ولم تغفل الطرز المعمارية الحديثة عن أن تحافظ على التراث المعمارى

obeikandl.com

القديم : بيزنطى،أو إغريقى ، أو رومـانى ، أو إسلامى ، أو هندى ، أو قوطى ، أو طراز عصر النهضـــة الأوروبى والبـــاروكى . وأدخَلَت على هـذه الطرُز الكلاسيكيـة الرصينة ، أو المتناغمـة الـرشيقـة ، بعض لمسـات تواكب روح العصر الجديد ومتغيراته .وكثيراً ما كـان البناء معبِّراً عن « الذوق الشخصى» لصاحبه من ناحية اختيار الطراز المرغوب .

وتداخلت فى بعض الأحيان الطرُز ، وتزاوجـت ، فأبدعت . وحرصت بعض الأُسر الثرية العـريقة على قصور ومبـانٍ تجارية لها (شركات ، مـؤسسات ، بنوك ، فنادق...) تتسم ـ مع امتـــزاج بروح العصر الجديد ـ بفخـامـة طُرز عصر النهضـة الإيطالية ، تمامـاً مثلما فعلتْ بعض الحكومات الغنيـة فى بناء المؤسسات الرسمية (مثل دور البرلمان ، والمكتبات العامة ، ودور الوزارات ، وقصـور الحكام ، والجامعات ، والمتـاحف ، ودور الأوبرا ، والمسـارح ...) ، تلك التى تجمع بين الفخـامـة ، والـرصـانة ، والمهـابة ، والجمال ، أو بتعبير أخلاقى : تمزج الجمال بالثقة .

التزم المعماريون المبدعون الكبـار « مبدأ الأمانة » الذى عبَّر عنه المعمارى الفـرنسى « أوجين إمانـويل فيوليـه لو دوك » بقـوله : « إن الطراز المعمارى المتسم بالثقـة يرتكز على الاستخدام الأمين للمـواد : فـالحَجَرَ مثـلا يجب أن يبـدو حجـــراً ، والحديد كالحديد ، والخشب مثل الخشب » . وبناء على هذا

مبنى الجامعة المصرية القديمة فى أوائل القرن العشرين

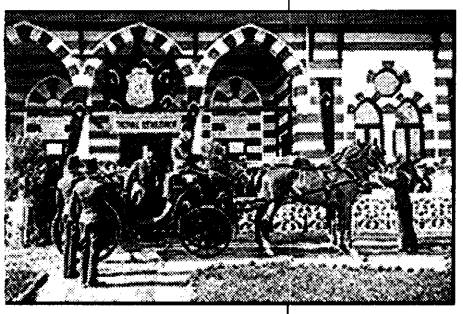

[الملك أوالخديوى فى زيارة لمبنى حمامات حلوان الجديد]

المبـدأ ، لا يجب أن تُكتسَى الأعمـــدة الحديدية بالحجـــارة ، بل تُترك ظاهرة ومندمجة فى توافق مع التصميم .

مبنـى البرلمان البريطانى فى لندن وبرج سـاعته الشهيرة .

فى ذلك العصر السابق على بداية القرن العشرين ، كـانت تسود آراء كتاب كبـار ، من أمثـال النـاقـد الجمالى البريطانى « رسْكين » ـ ت ١٩٠٠ ـ الذى نادى بأن الطـراز المعمارى « الجيـد » ـ ويقصـــد بالجيـد هنـا :الجميل والأخـلاقى معـاً ـ إنما يَصْـدر فقـط عن معمارى « جيـد » ، يعكس فى عمله مجتمعاً « جيداً » . ثم أتاحت المثالية المدنية المألـوفة،وهى ناتج ثقافة خاصة وحضارة ، أتاحت حرية فى التعبير ، من خلال التخطيط والتصميم الأساسى المتناسق الأجزاء ، مع التغاضى عن إبراز الفخـامة الزائدة، والأبهة المسرفة ، خاصة فى البيوت الصغيرة والذاتية ، ومع الارتفاعات العالية.

لم يكْتف عصر التصنيع بـإثارة الاهتمام ، والرغبـــة فى تحسين نـوعيـــة المجتمع ومبانيه المعمارية ، وإنما أدخل أيضا مواد معمارية حديثة ، وتتطور باستمرار : مثـل السبيكة المعدنية ، والحديد المطـاوع ، والصلب (الفولاذ) ، والزجـاج المصفح ، والطوب خفيـف الوزن المقـاوم للحـريق ... فيسَّرت هذه

المستحدثات إقامة مبان « هندسية » تصلح أن تبقى أثرية مع الزمن ، وكذلك مبـان « معمارية » صـارت من معـالم التـاريخ الحضـارى . وطوَّع الحديد نفسـه للبناء سابق التجهيـز ، حيث تُجهـز سبائكـه مسبقاً ، ثم يتم ربطهـا بعضـها إلى بعض فى الموقع .

وأَدْخَلت التغييرات الاجتماعيـة أيضـاً التضخيم والتـوسيع ، والتمـديد

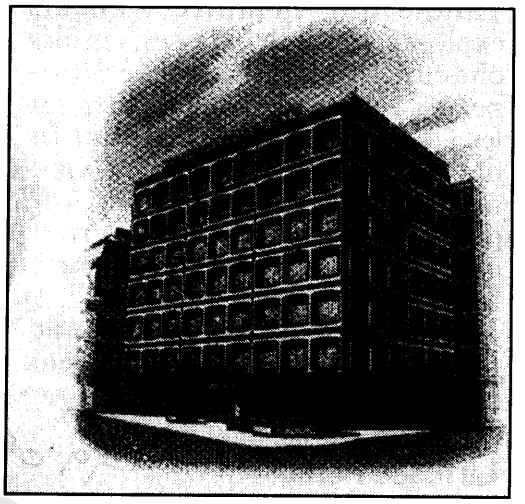

* مبنى يجمع بين القديم والحديث مع الفخامة والاتساع والجمال

* محطة قطار مركزية من أوائل القرن

محطة السكة الحديد بالاسكندرية (محطة مصر) عند افتتاحها (١٩٢٦).

والإضافات ، والتخصص فى أنماط البناء التقليدية أو الجديدة . ومع زيادة التعقيد والتشابك فى الإدارات الحكومية المركزية والمحلية ، أصبحت المنشآت المعمارية ، وقاعات الاجتماعات الرئيسية مبان ضخمة فخمة ، رحيبة الاتساع ، تجمع بين الجمال والجلال .

ودخل عنصر جديد تماماً : السكك الحديدية ، حيث ظهرت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثم زادت وتطورت فى العشرين . وكان لزاماً أن تصبح محطات القطارات المركزية أو الرئيسية ، رمزاً ومعبِّراً عن العصر الصناعى، وآثاره ، وروافده ، ومتغيراته، وإيقاعاته ، أينما سار قطار وتوقف، وحيثما علا صفيره ومن ركابه تَخَفَّف.

المسرح والشعر

أقبل القرن العشرون ، والناس تردد وتتغنى فى مصر والشرق بأشعار : البارودى،وأحمد شوقى ،وحافظ إبراهيم ، وحفنى ناصف ، وخليل مطران ، وعائشة التيمورية ، ومصطفى الرافعى ، وجميل صدقى الزهاوى ، ومحمد رضا الشبيبى ، وناصيف اليازجى ، ونجيب الحداد ... وكثيرين غيرهم .. وبعض هؤلاء كتب شعراً للمسرح الشعرى العربى ، ومُثِّلت ، ونالت استحساناً .

وفى أوروبا ، كانت قصائد الشعراء الكبار تنتقل سريعاً من مكان إلى مكان، تشرِّق وتغرِّب مع المسافرين والركبان .. فمن شعراء الإنجليز : توماس هاردى، ووليام بتلرييتس (أيرلندى) . وفى فرنسا : بول فرلين ، وستيفان مالارميه ، وأرتور ريمبو . وفى إيطاليا : جاردوتشى ، وجابريل دانونْزيو ...

وقد كانت النزعة الرومانسية هى الغالبة ، مع أشعار الملاحم والبطولات، والتغنى بالوطنية والقومية ، وثراء الشعر المسرحى .

البـارودى

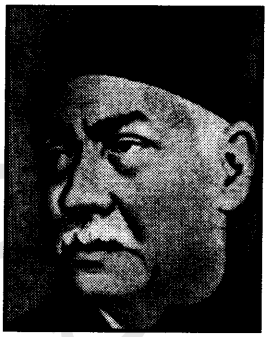

حافظ إبراهيم

وقُبيل نهاية القرن التاسع عشر ، فتح المسرح العالمى أبوابه مرحِّباً بثلاثة كُتَّاب للدراما ، صنعوا معاً ـ كلٌّ بأسلوبه ـ التجديد الكبير المرتقب ، الذى تعاظم شأنه على امتداد القرن العشرين : هزيك إبسن (من النرويج ـ توفى ١٩٠٦) الذى أثرى الدراما الاجتماعية بمسرحيات شعرية ، ثم نثرية رفيعة المستوى ، مثل : بيت الدُّمية . ومن السويد : أوجيست ستريندْبرج (ت ١٩١٢) الذى بدأ بالدراما النفسية الجنسية المفزعة ، وانتهى بالدراما الرمزية . وفى روسيا : تألقت أعمال أنطون تشيكوف المسرحية (ت ١٩٠٤) ذات الطابع الواقعى الاجتماعى الرشيق الأنيق .

وظلت مسرحيات شكسبير تحتل مكانتها المرموقة فى كل البلاد . أما مسرحيات أوسكار وايلد (توفى ١٩٠٠) الكوميدية ، فقد تراجع الإقبال عليها، لأنها لم تعد تلائم العصر سريع التغير ، سواء فى حبكتها ،أم فى خصائصها ، وطابعها المتقادم .. لكن وايلد ، بذكائه البارع ، وإبداعه المتوقد على الدوام ، سرعان ما تحول إلى الميلودراما والكوميديا الرومانسية ، فأحرز نجاحاً وإقبالاً متزايداً .

شوقـــى

* مشهد من مسرحية تشيكوف « طائر النورس » عند تمثيلها عام ١٨٩٨ .

وتألق نجم برنارد شو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) . وهو أحد أبطال إبسن .. فاستخدم الأسلوب الفنى نفسه فى بناء مسرحيات اجتماعية أخلاقية ، تجمع بين البراعة والطرافة ، والرقة فى الإنسانية ، وتحمل المشاهد على التفكير الرصين العميق .

وفى باريس ، توافقت مسرحيات ألفريد جارى (ت ١٩٠٧) مع الاتجاه «التعبيرى» فى الرسم ، حيث تقدَّم الحقيقة الواقعة كانعكاس عقلانى ، أو لما يدور فى الذهن .. فكان هذا اللون المسرحى هو المقابل العقلى لمسرح «العبث»، أو « اللامعقول » ، أو « اللاعقلانى » .

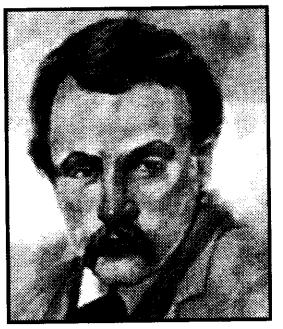

* خليل مطران

* مشهد من مسرحية تشيكوف « طائر النورس »
عند تمثيلها عام ١٨٩٨ .

* أوسكار وايلد ، أحد المجددين الكبار للمسرح الانجليزى فى أواخر القرن ١٩ .

* نورا هلْمر التى مثلت الشخصية
الرئيسية فى مسرحية بيت الدمية لإبسن

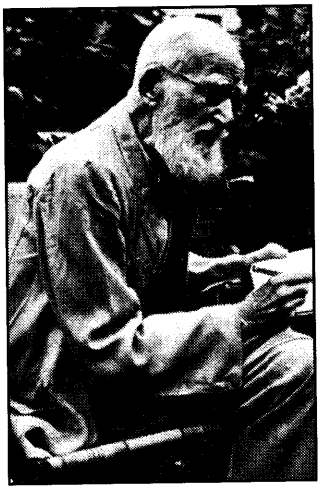

* برناردشو

الموسيقى

يدين الموسيقيون العالميون لعبقرى التأليف الموسيقى « لودفيج فان بيتهوفن » بما نالوه من مكانة اجتماعية مرموقة،ومستوى بين الناس رفيع كريم . كان المؤلف الموسيقى قَبْله ـ مهما أجاد واشتهر ـ مجرد حِرفى ، وغالباً ما كان يوضع فى مرتبة صغار الموظفين أو العمال لدى أمير، أو ثرى ، أو راع لكنيسة . وكثيراً ما كان طعامه مع الخدم .. فلما أقبل بيتهوفن ، وتألق نجمه ، وانحنى الجميع لعبقريته وإبداعاته ؛ وضع نفسه فى الموضع اللائق ـ والإنسان حيث يضع نفسه ! ـ وهكذا صار كل المبدعين من بعده .

والجدول البيانى التالى يوضح تطور الموسيقى الرومانسية التى بدأ ازدهارها المبدع ببيتهوفن ، وانتهت إلى رحمانينوف (الروسى) ، وفيه بيان السنين ، وجنسية كل مؤلف. أما الشخصية المرسومة إلى اليمين من أعلى

* بيتهوفن

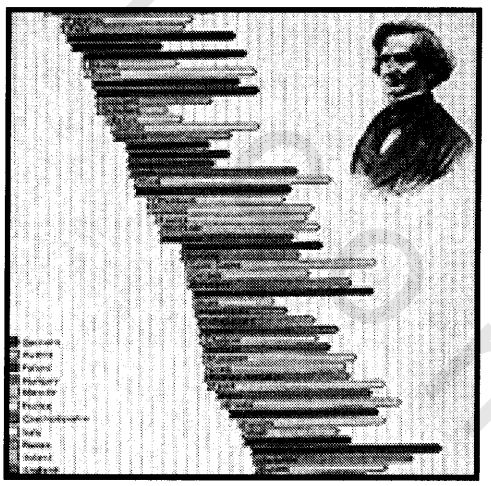

* يد شوبان اليسرى (من قالب) تخليدًا لمهارتها المفرطة فى العزف على البيانو

الشكل ، فهى للموسيقار هيكتور برليوز (الفرنسى ـ توفى ١٨٦٩) ، الذى

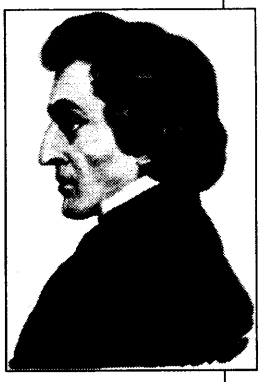

فردريك شوبان
(١٨١٠ ـ ١٨٤٩)

بلغ الذروة فى تأليف الموسيقى الكلاسيكية الرومانسية .

وقد تأثر الموسيقيون الكبار بالنزعة القومية وبالانتفاضات الوطنية التى شاعت فى القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، وظهر ذلك فى أعمالهم: فالمازوركا والبولونيز [1] تدخلان فى نسيج التأليف الموسيقى عند فردريك شوبان (ت ١٨٤٩) وهو بالمنفى ، تعبيراً عن مشاعره الوطنية الجياشة نحو موطنه بولندا ، وحنينه إليه .وفى بوهيميا (الجزء الغربى من جمهورية التشيك الآن) يناصر الموسيقار أنطونين دفورجاك (ت ١٩٠٤)، والموسيقار بدرتش سمِتانا (ت ١٨٨٤) بمؤلفاتهما الثورة الوطنية فى بلدهما ، وكذلك فعل الموسيقى الكبير إدوارد جريج فى النرويج (ت ١٩٠٧).

ويفعل الشىء نفسه فى روسيا كل من : ألكسندر بورودين (ت١٨٨٧) ، وريمسكى كورساكوف (ت ١٩٠٨) . أما بيتر تشايكوفسكى (ت ١٨٩٣)، فقد سلك سبيلاً آخر . وبالمستوى الرفيع نفسه ... كان إدوارد ماكدويل (ت ١٩٠٨) فى الولايات المتحدة الأمريكية ،وريشارد فاجنر (١٨٨٣) فى ألمانيا.

واستخدم فاجنر الأساطير الوطنية الألمانية فى التأليف الموسيقى الدرامى، بدلاً من الأوبرا التقليدية ، التى كانت ثانوية بالنسبة لقدراته

* فاجنر : عبقرى الدراما الموسيقية الوطنية الألمانية

* برامز : صورة ظلية وهو يمشى نحو مطعمه المفضل

(١) المازوركا : موسيقى شعبية بولندية ، تؤلف للرقصات الجماعية الدائرية، ألحانها شجية .
والبولونيز : نوع من الموسيقى الوطنية البولندية الراقصة بطيئة الحركة (يستغرق زمنها ٣/٤ فى قياس الموسيقيين) .

الفـائقة فى التنوع الهارمـونى المتألق المبهـر ، وفى السيطرة على الأوركسترا ، واستثمار كل آلاتها بمهارة .

وفى إنجلترا كان ختـام عصر الرومانسيـة الوطنية مع إدوارد إلجار (توفى ١٩٣٤) ، وأيضاً فى فنلندا مـع جانـن سيبيليوس (ت ١٩٥٧) ، وكـذلك فـى فرنسا مع سيزار فرانـك (ت ١٨٩٠) ، الـذى أنشـأ وأدار جمعيـة وطنيـة ، وأيضاً مع سان صـانس (ت١٩٢١) .أما كلود دبوسى (ت١٩١٨) ، فهـو الذى قـاد تيار الموسيقى التأثيرية ، المواكِبـة لتيـار المذهب الجديد فى الرسم (التصوير) .

* تشايكوفسكى : عبَّر بألحانه عن روح الوطنية الروسية التى ضمنّها مؤلفاته وأسلوبه الفولكلورى فى الباليه متميز محبوب

الرسـم (أى التصويـر)

غَلَبت على مدارس التصوير (الرسم) فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وحتى أوائل القـرن العشرين ، النزعة الواقعيـة ـ خاصـة فى فرنسـا ـ وازدهرت أعمالها المعبِّرة عن الحياة اليوميـة فى كل جوانبها ، ومن كل الفئات والمستويات الاجتماعية .

لقد أصبح الفن حرًّا طليقاً ، مصوراً للمجتمع كله ، وليس ترفاً يختص به

obeikandl.com

* « بونجور مسيوكوربيه ! » لوحة رسمها الفنان الواقعى الفرنسى كوربيه لنفسه وهو يتلقى التحية من صديق عابر بالطريق .

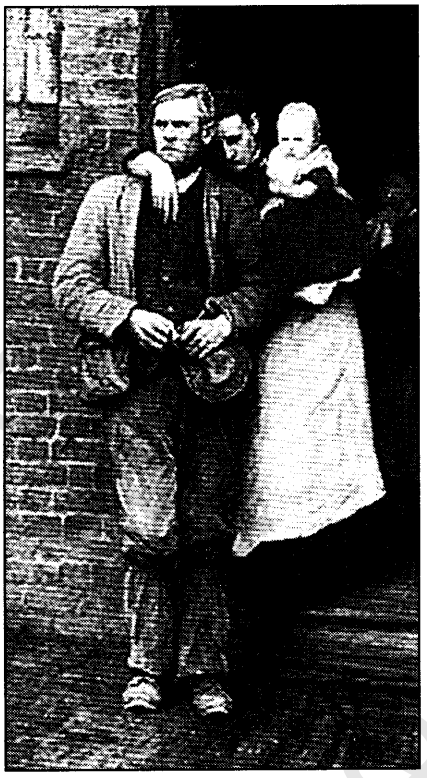

* «إضراب عن العمل » لوحة (١٨٩١) ، يصور فها الفنان هربرت فون هركومر قمة الواقعية ، حيث مشاعر الحزن والاستسلام واليأس تنعكس على أفراد الأسرة ، نتيجة لتوقف عائلها عن العمل . وفيها أيضًا التضامن الأسُرى : انحناءة الزوجة ، وتطويق زوجها بيدها المسترخية ، وكذلك الابنة خلفها تسند رأسها الحزين بيديها ـ توفى هركرومر ١٩١٤ .

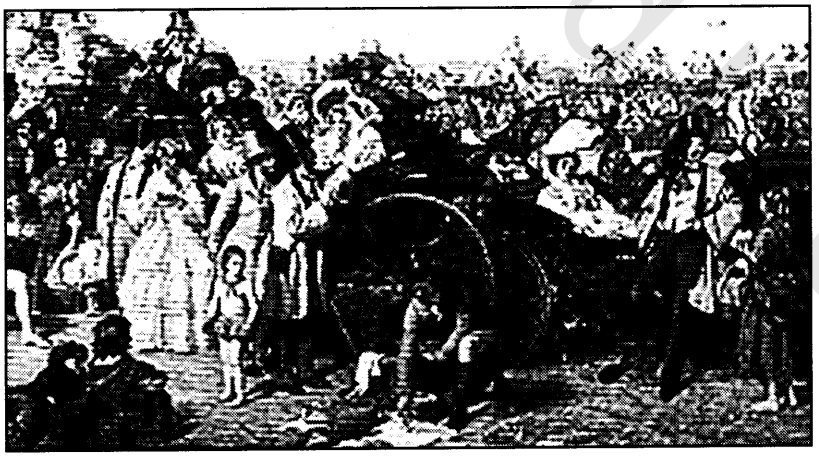

* « يوم السباق » للفنان ويليام باول (ت ١٩٠٩) تصور مشهدًا من الحياة اليومية بانفعالات وتكوينات وألوان فاتنة .

* « صحـــوة الضمـــير » لوحـة للفنان ويليام هَنْت مـــن المـدرســـة الروفائيليه ، تعبّر عن صحوة ضمير فتاة تحافظ على براءتهـا وعفتهـا بإزاء إغراء فتى وسيم ، كما يبدو من تشابك يديها ، ووضاءة وجهها ورودائها .

* « فى المقهى » للفنان الفرنسى إدوار مانيه . موضوع شعبى واقعى طريف . اللوحة تحمل طابـع الفـنان المتميز بالحيويـة ، وثـراء الألـوان . وقـد مهَّـد لظهـور المـدرسـة التأثيرية .

وينعم السادة والنبلاء وكبار الأثرياء . كان على رأس هذه المدرسة الواقعية : جوستـاف كوربيـه الفرنسى (ت١٨٧٧) ، وكان ريفيًّـا بوهيميًّا ديموقراطيًّا ، يميل إلى الثورية .. فلما ظهرت آلة التصوير الفوتوغرافى ؛ خَبَت المدرسة الواقعية ، وأسلمت القياد لمدرسة جديدة :التأثيرية .

الفن الحديث

سَرَى تيار الموجة الجديدة ـ أو « الفن الحديث» ـ واكتسب جمهوراً كبيراً، وعداء متزايداً من جانب التقليديين (الكلاسيكيين) أصحاب المدارس القديمة. وكان لابد للحياة من أن تتطور ، وتأخذ مسارها مع الزمن

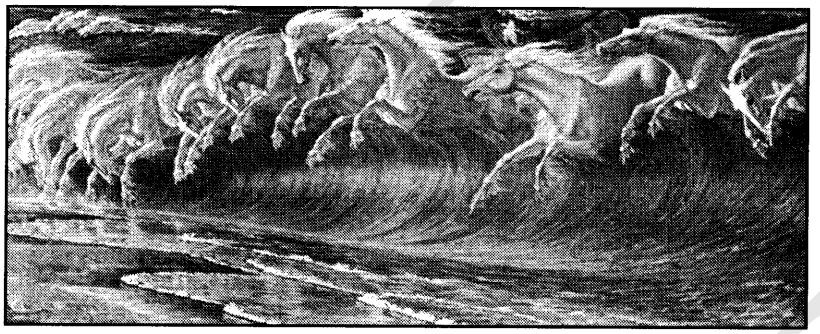

* « موجة تنكسر » أو اندفاع الزمن . أو التيار الجديد . لوحة للفنان البريطانى والتركرين (ت ١٩١٥) ، يصور الموجة كخيول جامحة سابحة (لاحظ الأقدام) منضبطة متناغمة الحركة والإيقاع كالموج ، لكنها ـ رغم خضوعها لقائدها ـ لا تتماثل .. فلكل نظرته واتجاهه وأداؤه المنطلق . اللوحة بارعة التكوين والتعبير عن الفكرة والحركة ، واستخدام الخط المنحنى فى انسجام مبهر وتوافق .

* « الوجه الأثيرى » للفنان النرويجى إدوارد مونش يعبر عن أسلوب فنانى الموجة الجديدة : الوجه المسطح ، والخطوط المتحررة تعكس رؤية الفنان الذاتية .

والمتسارع، مع المستجدات المتلاحقة. إنه قرن يودِّع (١٩) ، وقرن مقبل بإشراقات مبدعة، وتغييرات متدافقة فى كل شىء : فى الفكر والفن ، فى البناء والأزياء ، فى الابتكارات والاختراعات ، فى الاكتشافات والتطبيقات، فى العمل والتعامل، فى كل جوانب الحياة .. والفن صورة للمجتمع . ولوحة الفنان ـ ولو كان فنان دعاية وإعلان ـ مرآة قابضة ، مسجِّلة .. بمعنى أنها تمُسك بمظاهر عصرها ، وتسجل طابعه ، وتحمل نفحات من روحه .

ملاحظة : القيمة الجمالية للوحات لا تستبين إلا بالألوان الحقيقية)

المدرسة التأثيرية

مدخل قرية (بيسارو)

إن تعبير « تأثيرى » ، أو « تأثيرية » فى الفن ، جاء فى الأصل من كلمة سخرية وازدراء ، كتبها الناقد الفرنسى « لوى لوروا » عام ١٨٧٤ متهكماً على لوحة للرسام «كلود مونيه » ،تصور الغروب عند شاطىء النهر . واختار لها الفنان اسم : « تأثير Impression » .. فكتب لوروا ناقداً لها: « تأثير .. أو انطباع ، أنا متأكد من ذلك!، فهى إذ تخبرنى من عنوانها بأننى تأثرت بها ، فلابد إذن أن يكون فيها شىء تأثيرى ، وأنا لا أدرى ! ».

بدأت هذه المدرسة ـ أو هذا التيار الفنى الجديد ـ بمجموعة من ثمانية مصورين (أى رسامين) ، كفريق متميز ، يتخذ أسلوباً خاصًّا فى الرسم ، يختلف عن الأسلوب الواقعى ، أو الطبيعى ، أو الكلاسيكى التقليدى القديم. ويعتبر « كامى بيسارو » ـ توفى ١٩٠٣ ـ الأب الروحى لتلك الجماعة . وهو ابن رجل مصرفى ، وصديق طفولة للروائى الفرنسى « إميل زولا » . ومن هؤلاء التأثيريين (أو الانطباعيين) : إدجار دوجا (ت ١٩١٧) ، الذى تخصص فى رسم سباق الخيل ، والمسرح ، والباليه ، وكلود مونيه (ت ١٩٢٦) ، وأوجيست رنوار (ت ١٩١٩) ، الذى سبق اشتغاله بالزخرفة

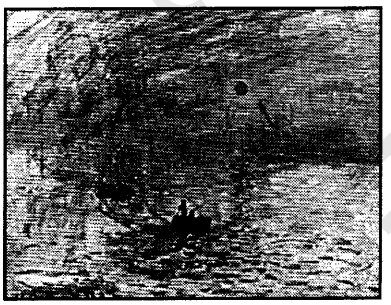

* تأثير ـ كلود مونيه

* مضمار (ساحة) سباق ريفى ـ إدجار دوجا .

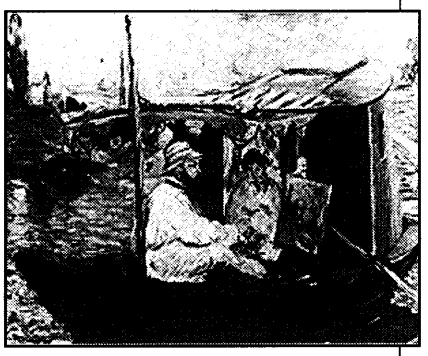

* مانيه يرسم لوحة .

* صورة فوتوغرافية لسيزان
يرسم من الطبيعة

* الرقص فى ملهى طاحونة
الحلوى ـ رينوار

الخزفية ، وتنسيق الزينة (الديكور) ، وألفريد سيسْلى (ت ١٨٨٣) ، الذى يُعتبر رائد هذه الجماعة أو المدرسة .

لقد كانوا مجموعة متآلفة مترابطة ، عزمَتْ على اتباع « مذهب » فنى جديد، فعملوا معاً ، وتدربوا على الإجادة معاً ، وأحياناً كانت مجموعة منهم ترسم منظراً واحداً يقفون أمامه جنباً إلى جنب ، وكلٌّ يرسم بأسلوبه وألوانه ..لكنه يحافظ على طابع تلك المدرسة فى ضربات الفرشاة على اللوحة ، وفى التحليل الضوئى ، وفى اختيار الموضوع البعيد تماماً عن الموضوعات التاريخية التقليدية ، أو الأسطورية . (ولم يدركوا حينذاك أن لوحاتهم هم ستصبح تاريخاً ، وفيها تسجيل لمظاهر حقبة تاريخية عاشوها وأبدعوا ـ على طريقتهم ـ فى تصويرها لمن بعدهم ؛ ليستشف منها ملامح الحياة اليومية آنذاك : فى الأزياء ، والمبانى ، والمركبات ، والسفن ، والملاهى ...) .

*نساء فى حديقة
(مونيه)

كانوا شغوفين بالطبيعة الفسيحة الوضاءة المبهجة ، بالحدائق والحقول والأنهار والأشجار والزهور ، بالحياة البسيطة المرحة ، وتقلبات الأنوار فى الليل والنهار ، ومن شروق إلى غروب ، وبالتحليل اللونى للظلال ، وانعكاساتها على نحو بارع دقيق . وبعضهم ـ مثل رنوار ـ مال كل الميل إلى رسم الأشخاص ، خاصة النساء كاسيات عاريات . وتفوق سيزان فى صياغة الشكل أو الملامح ، من خلال ضربات لونية بدرجات مختلفة ، وأجاد تحليل العلاقة بين اللون والشكل . إنها لوحات « ثورية » تعطى انطباعاً أو تأثيراً مباشراً بمجرد النظر إليها ، أو التأمل .

جماليات التنسيق

ونقصد به كل ما يسهم فى الارتقاء بالذوق الرفيع ، ونشر لمسات الجمال فى أرجاء المكان ، ولو بأبسط الأشياء والأدوات : فى البيت ، والمكتب ، والمدرسة، والمؤسسة ، والمتجر .. فى الزخرفة والتزيين (الديكور) ، وفى الأثاث ، وفى المزهريات ، والإضاءة ، وفى السجاد ، وتوزيع اللوحات ، والتحف ، والأدوات ...إن الطبيعة التى أبدعها الخالق جميلة ، ويجب أن تنظر العين فيما حولها إلى كل شىء .. جميل .

فى عام ١٨٩٥ ـ وكما سنرى بالتفصيل فيما بعد ـ افتُتح فى باريس « بيت

obeikandl.com

* تمثال من البرونز اللامع أمام حائط داخلى مغطى بورق مزخرف بالزهور بالأسلوب الجديد . يلاحظ التناسق بينهما (مع الألوان) فى التعبير عن التحرر والانطلاق والحركة الرشيقة وذلك بالتموجات والخطوط المنحنية والدائرية ، وتطاير الشعر والملابس ، والجسم الملتف ، وإيحاءات الأطراف . إنه الفن المتوهج .

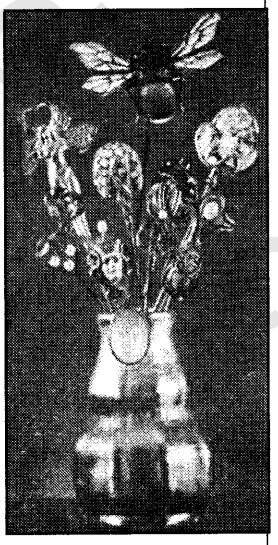

* مستوى رفيع من الرشاقة والأناقة فى مزهريات بأسلوب «موجة الفن الجديد» التى ظهرت فى فرنسا أواخر القرن ١٩ وأوائل العشرين .

الفن الحديث Maison de L'Art Nouveau » ، وفيه عُرضت ذروة ما وصل إليه إبداع فنانى تلك المدرسة الجديدة فى التنسيق والتجميل الداخلى ، من أبسط الأشياء (كالوسائد ، وأدوات المكتب) إلى الأثاث ، والسجاد ، وورق الحوائط، وتوزيع الفتحات ، والمساحات ، والإضاءة .. وكلها فى تموجات وخطوط رشيقة ، بعيدة تماماً عن الصرامة والجمود ، تُدخل البهجة والنشوة إلى النفس والحس .

فى نهاية القرن ١٩ وبداية العشرين ، ساد هذا الفن وانتشر فى كل المستويات، وانعكس على الأزياء ، وحُلِىّ السيدات ، وأدوات الزينة .

تجميل الكتاب

والكتاب أيضا.. تناولته الأيدى المبتكرة المبدعة ، أضافت إليه لمسات جمالية على نفس المستوى الرفيع والنسَق فى التجديد : فى غلافه من الخارج ، وفى رسومه وزخرفته بالداخل .. وحتى كتب الأطفال . وكان طبيعيًّا أن تَصدر أعداد محدودة من تلك الكتب ، للمحافظة على قيمتها كتحفة فنية ، لا يقتنيها إلا الذى يحب الجمال ، ويقدره حق قدره . هذه مجموعة من الكتب المتنوعة شكلاً ، وموضوعاً، ولغة ..

وانتقل التجديد والإبداع إلى حروف اللغة ذاتها :من الصرامة إلى الرشاقة،

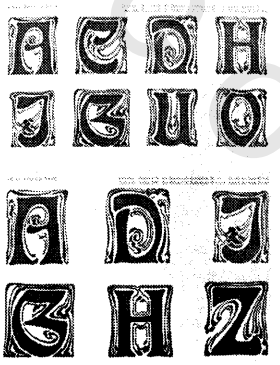

ومن السكون إلى الحركـة ، ومن العُبوس إلى البهجـة . هنا إبداع الفنان بيـده المتألقة المدققة ، قبل أن تتراجع وتتـوارى مع هجوم التصنيع الكبير والإنتاج النمطى بالجملة بعد بدايات القرن العشرين .

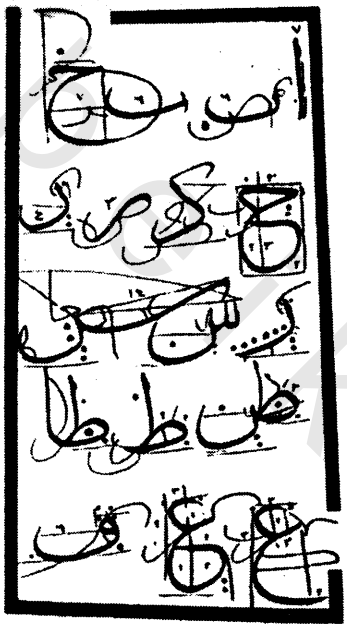

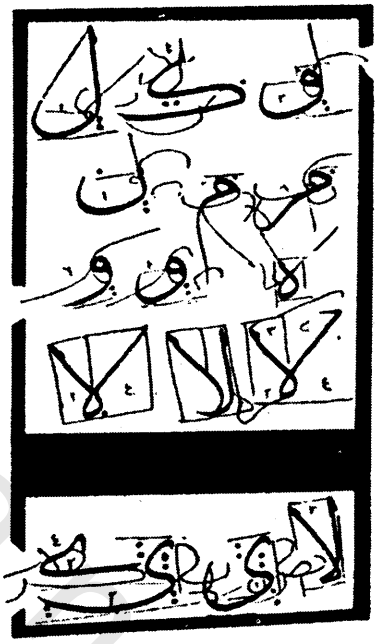

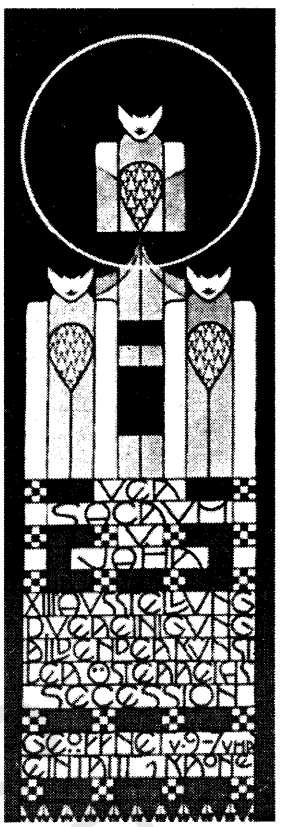

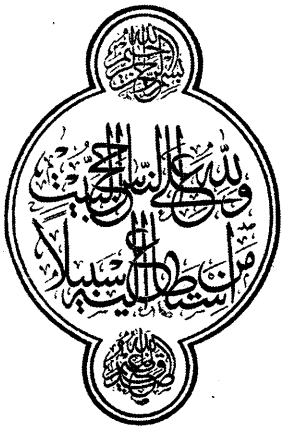

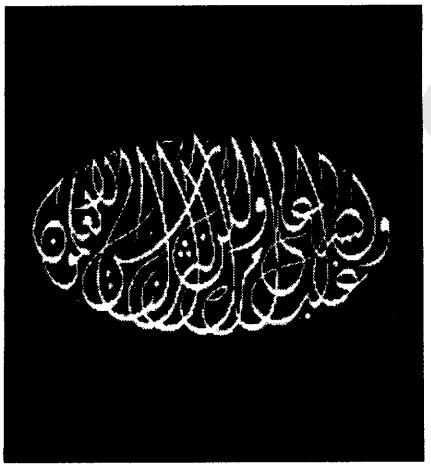

Obeikandl.com

فـن الإعـــلان

وظهر فن جـديد ... تأثيره على كل الناس شديد .. سوقُـه رائجة ، وتَطْلب: هل من مـــزيد ؟..إنه فن الإعـلان ، فى كـل مكان ، بالصحف وعلى الجدران ، يخاطب ـ صامتاً ـ العين والوجدان ، بالكلمات والرسوم والألوان .

إنه أثر مباشر لازدهار الصناعـة ، ولترويج البضاعـة ، والإغراء بالشراء ، وإثارة شهية الأثرياء والبسطاء ، ولو بلا حـاجة أو اقتضاء ! . وانفتح مجال

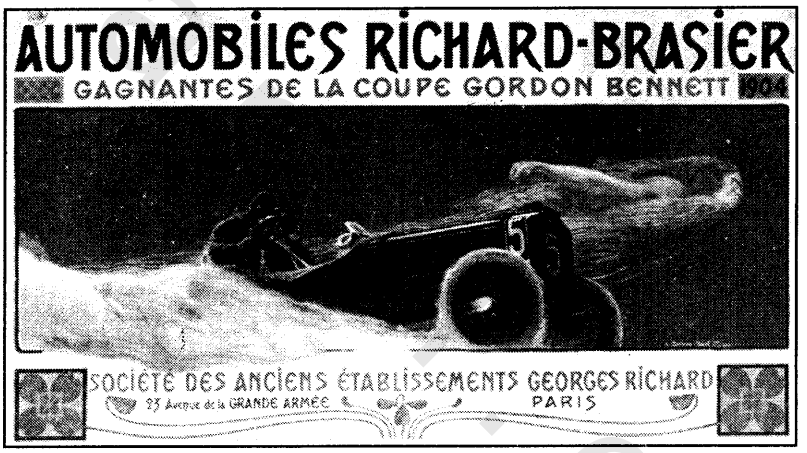

* كـان السبب الأول فى ابتكار سيـارات السباق أوائل القـرن العشريـن ، هـــو الترويـج للسيـــارات ذاتها ، وتشجيع الجمهور على شرائها . وإعلان الفنان هنـا ـ أوجين فـــرنو ـ يرتكـز على فكرة أن السيـــارة سريعـــة ، وهى فى سرعتهـــا تسابق الريح ، منطلقة بحرية وبلا عائق .

الإعلان واتسع ، ودخله فنانون كبار ، وعلماء نفـس وموجِّهون وتربويون . وتحت سطوة إغـرائـه وانتشـاره ومكاسبـه، سمـح بعض أصحـاب المكانة والشـهرة لأنفسهم بالظهور فى الإعلانات ومـواد الدعاية . وكانت باريس ـ فى أوائل القرن ـ مركـز الدعاية العالمية ، واتُخذت المرأة « سلعـة » للإعلان عن السلع ، و«بضاعة» لتسويق البضاعة .

وسرعان ما ظهر تأثير الإعـلان على كل المستويات والطبقات . وأصبح له فنانون متخصصون ، ذاعت شهـرة بعضهم محليا وعالميـا .. بل إن لوحات

* نماذج من لوحات الفنان الفرنسى : تولوز ـ لوتْرك الإعلانية من أواخر القرن ١٩ ، وأول القرن العشرين .

بعض فنانى الإعلان النادرة ، كانت تباع فى السوق السوداء . ولدرجة أن تجار اللوحات الفنية الثمينة القيمة كانوا أحياناً ينصحون زبائنهم الأثرياء ببيع لوحات لفنانين عظام ، مثل رمبرانت (تباع لوحة واحدة من رسومه الآن بعشرات الملايين من الدولارات) ، وشراء ـ بدلاً منها ـ لوحة إعلانية لفنان، مثل : الفونس موشا ، أو تولوز لوترك ـ (Toulouse Lautrec). وقد برع لوتْرك فى فن الإعلان (وفى مجالات أخرى فنية متميزة) ، وله متحف خاص فى مدينته آلبى بفرنسا ، يضم مجموعة من لوحاته الفنية الإعلانية التى اشتهر بها . (توفى عام ١٩٠١).

فـن الأوبـــرا

مع انطواء صفحات القرن التاسع عشر ، وبداية العشرين ، زاد إقبال الطبقة المتوسطة ـ من التى أثْرتها الصناعة والتجارة ـ على ارتياد مسارح الأوبرا ، والاستمتاع بمشاهدة عروضها والحانها ومناظرها (ديكوراتها) وملابسها الفاخر، بعد أن كان هذا الفن الرفيع المستوى قاصراً على الطبقات العليا من المجتمعات . وقد دفع هذا الإقبال المتزايد المؤلفين والملحنين إلى تطوير أعمالهم وابتكاراتهم لتلائم ذوقى الجمهور الجديد والقديم معاً .. فإلى جانب الموضوعات الأوبرالية التقليدية المستوحاة من التاريخ ـ الجادة أو الفكاهية ـ سرى تيار جديد يلائم روح العصر ، ومشاعر كل بلد .

* اوبرا « عايدة » ألفها فردى ، بناء على طلب خديوى مصر (إسماعيل) لمناسبة افتتاح قناة السويس . ولم تعرض فى افتتاح القناة ، لكنها لقيت نجاحًا ضخمًا فى عواصم العالم .

* أدلينا باتّى (١٨٤٣ ـ ١٩١٩) الإسبانية المولد وإحدى الشهيرات المتألقات فى عالم الأوبرا (سوبراند) تبدو هنا فى دور « مارجريت » فى أوبرا فاوست لجونود . أبهرت الملحنين (بقدرتها الفائقة على تليين صوتها الندىّ الشجى) ، وأمتعت الجمهور ـ فى عديد من العواصم ـ وسعدت هى بالحفاوة والشهرة طوال خمسين سنة من عمرها الفنى .

* لـولـو : من أبرز أوبرات القرن العشرين وأكثرها شعبية ، ألحان النمساوى ألبان بيرج (ت ١٩٣٥) الذى توفى قبل إتمامها ، فعُرضت فى فصلين فقط وهى تحكى قصة غانية لندنية، ضحية الفقر والقهر ومآسى الدهر .

دخلت على الأوبرا موضوعات تتناول جوانب وطنية وسياسية واجتماعية. ظهر ذلك بوضوح فى أعمال الإيطاليين : فردى (توفى ١٩٠١) ، وما سكانْىِ (ت١٩٤٥) ، وبـوتشينى (ت ١٩٢٤) ، وفـى روسيـا : تشايكـوفسكـى (ت ١٨٩٣) ، وفى فرنسا : كلود دبوسى (ت ١٩١٨) ، وفـى ألمانيـا : ريتشـارد شتراوس (ت ١٩٤٩) ، والتشيكـى: جانا شيك (ت ١٩٢٨) ، ثم يَبْرز فى التجديـد ويتفوق فى روسيا : سيرجى بروكوفيف (ت ١٩٥٣) .

التصوير الفوتوغرافى

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ظهر فن جديد (كانت له مقدمات علمية وتجريبية منذ عام ١٨٢٧) ، يجمع بين العلم والتكنولوجيا والبراعة الفنية، والابتكار الدائم المتجدد : فن التصوير الفوتوغرافى (وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد بإذن الله) ونستطيع أن نقول ـ بلا مبالغة ـ : إنه الفن (والتكنولوجيا معاً) ، الذى غيّر من نظرة الناس إلى العالم ، وتصورهم

* ظهور آلة التصوير الفوتوغرافى المتطورة كان سببا فى ظهور مدارس جديدة للرسم.

الممثلة الراقصة الشهيرة ماتا هارى ـ اتهمت بالخيانة ، وأعدمت عام ١٩١٧ .

عن أنفسهم ، وعما حولهم من أشياء ، وكائنات وجمادات وأحياء ، فى أرض ، أو بحر ، أو سماء . ولا جدال فى أن « الكاميرا» ـ للصور الثابتة أو المتحركة ـ هى التى طبعت العصر ـ وما بعده ـ بطابع « النظرة البصرية المصوِّرة » .. فى كل شىء تقريباً ، وفى كل مجال أو ابتكار ..

* إمبراطور النمسا فرانسوا جوزيف يركب حصانًا وهميًا ، ليصنع له الفنان تمثالاً (١٩١٣) .

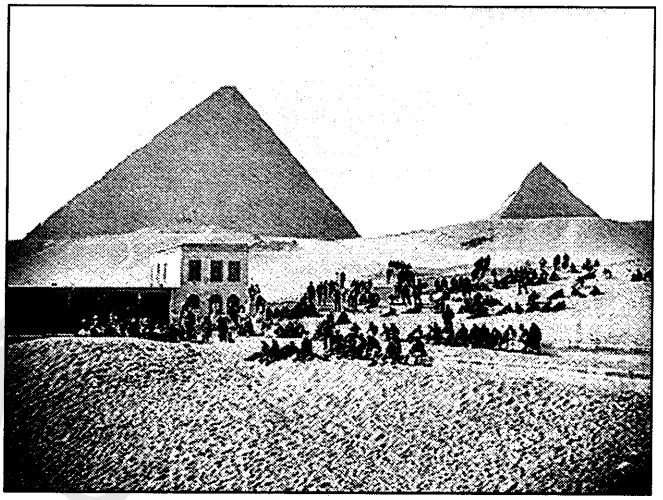

* صورة ضوئية (فوتوغرافية) نادرة لجنود الاحتلال البريطانى عند سفح الهرم بالجيزة عام ١٨٨٢ .

وقد سجلت الكاميرا مشاهد الحياة اليومية ـ الخاصة والعامة ـ بدقة كاملة (وكان هذا من أسباب ظهور مدارس الرسم الحديثة فى القرن

* الرئيس الأمريكى ماك كينلى قبيل اغتياله بلحظات (سبتمبر ١٩٠١)

* أطفال فى شارع باليابان (١٩٠٠) .

العشرين، بعد أن تفوقت الصور الفوتوغرافية على اللوحات الواقعية والطبيعية) . وأصبحت الصورة فى متناول الجميع ، ومعبِّرة عن الجميع ، محتبِسة للزمن ، للّحظة .. مثبِّتة للأحداث ، مؤرخة للوقائع : فى البيوت والقصور ، فى الأكواخ والكفور ، فى المباهج والأفرح ، فى السجون ومُطلق السراح .

وسرعان ما أصبحت الكاميرا « عين » التاريخ ، وصُورها مرجعاً للباحثين والدارسين .. ومادة ثرية جذابة للصحافة والصحافيين . وشغف الناس بهذا الفن ، حرفة أو هواية : من الملوك والأميرات والكبراء ، إلى الأدباء والعامة البسطاء .

فن السينما

كانت بداية هذا الفن فى فرنسا ، حيث نجح الأخَوان لوميير فى « إنتاج» مشاهد فيلمية من واقع الحياة اليومية ، عُرضت فى ديسمبر عام ١٨٩٥ لأول مرة، ودهش الناس بشدة وهُم يشاهدون لقطات تسجيلية لبضع دقائق لفيلم «وصول قطار إلى محطة كياتو » ، وبعضهم فزع وأسرع هارباً ! .

فى مارس ١٨٩٧ أنشأ جورج ميلْييس أول ستوديو فى العالم ـ بباريس ـ للتصوير السينمائى ، وأنتج خلال ١٥ سنة نحو ٣٠٠ فيلم سينمائى ، وابتكر عديداً من العمليات والمصطلحات السينمائية ، وبعضها يُستخدم إلى

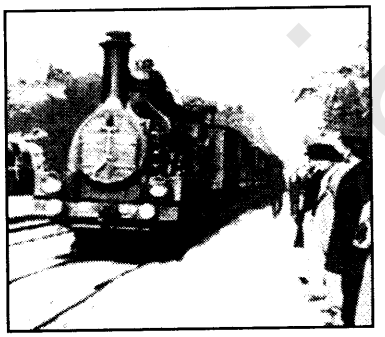

* من فيلم « وصول قطار ... » لوميير

* « رحلة إلى القمر » المخرج ميلييس

الآن : منها استخدام الديكور المتحرك ، والماكيت (النموذج البنائى للمنشآت والبيوت والسفن ..) ، . وطبْع المناظر فوق بعضها البعض ، وتداخل اللقطات فى ذوبان ونعومة ، والحِيَل ، كالحَجْب أو الإخفاء باستخدام خلفية سوداء (كاشة) . وتنوعت الموضوعات بين واقعية وخيالية ، ومن الأحداث الجارية ، والخيال العلمى ، والفكاهة ...

فى عام ١٨٩٨ ظهرت أول مخرجة سينمائية فى العالم : الفرنسية أليس جُوىْ Alice guy- بفيلم « جنّيات الكرنب » .

ثم بدأت المنافسة بين فرنسا والولايات المتحدة فى مجال هذا الفن ، الذى أدهش وجذب إليه كتلاً جماهيرية ضخمة .أنتج لورى ديكسون (مساعد

* « المدمرة بوتمكين » آيزنشتين .

تصوير الأسد شعار شركة مترو سنة ١٩٢٤.

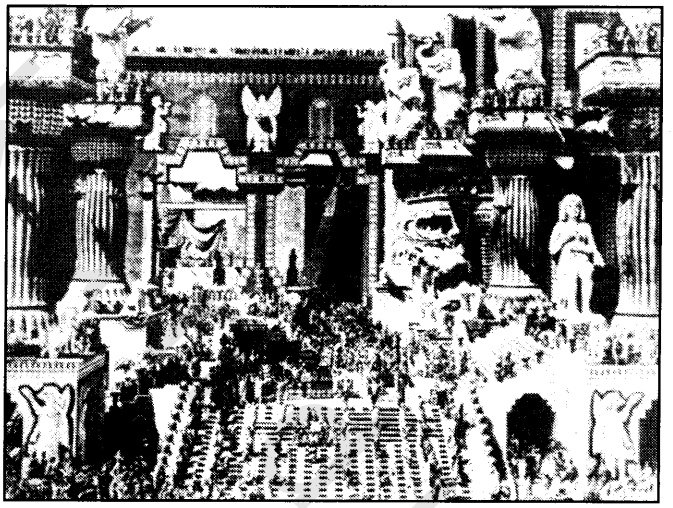

فيلم « التعصب » للمخرج جريفيث

« الشبح » للمخرج فوياد

شارلى شابلن

المخترع الشهير إديسون) أفلاماً قصيرة (كينيتوسكوب) ،تصور مشاهد لفرق موسيقية صامتة .

وفى عام ١٩٠٣ أخرج إدوين بورتر (مساعد أيضا لإديسون) أول فيلم أمريكى ، مستمد من قصة أدبية « كوخ العم توم » أول فيلم سينمائى يحتوى فى داخله على لوحات مكتوبة لشرح المواقف أو الفصول ، لأن الأفلام كانت صامتة (لم يظهر الصوت إلا فى أواخر العشرينيات) ، ثم أخرج فيلم «السرقة الكبرى للقطار » عن حادثة استيلاء عصابة مجرمين على كمية كبيرة من النقود والأشياء الثمينة بالهجوم على قطار . والبعض يعتبر هذا الفيلم أول أفلام الغرب الأمريكى الشهيرة (Western) ذات الطابع الخاص ، (رعاة البقر) .

« هجمة النزوح إلى الغرب » ـ أنتونى مان

« جرح الوجه » هووارد هوك

« المواطن كين » المخرج : أورسون ولز

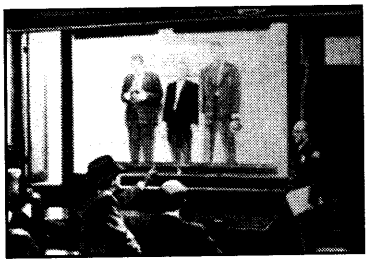

« عندما تنام المدينة » ـ جون هوستون

« الوهم الكبير » ـ ج . رنوار

وفى بريطانيا ، بدأ ويليام بول فى عام ١٨٩٦إنتاج أفلام قصيرة من البيئة، على غرار ما فعل لوى لوميير فى فرنسا . وفى عام ١٨٩٩ أقام أول ستوديو سينمائى فى بريطانيا للتصوير والإنتاج . وكان من رواد السينما البريطانية الأوائل: جيمس ويليامصن ، ج.سميث ، سيسل هبْوورث .

* جمهور فى مكتبة عامة

ثم ظهرت الأفلام السينمائية المنتجة فى السويد عام ١٨٩٧ ، وفى الدانمارك ١٨٩٨ ، وأول فيلم إيطالى كان « آلام المسيح » ، وظهر عام ١٩٠٠ للمخرج لويجى توبى فى عشرة مشاهد . وذاع انتشار السينما فى كل أرجاء العالم .

وبدأ الإنتاج السينمائى فى ألمانيا عام ١٨٩٦ ، وفى العالم التالى بالمكسيك ، وفى البرازيل عام ١٩٠٣ . وفى عام ١٩٠٤ بُنى أول ستوديو سينمائى فى اليابان (طوكيو) ، وفى إسبانيا بدأت السينما بأفلام تسجيلية قصيرة عام ١٨٩٧ ، وحتى عام ١٩٠٠ .

وبعد أيام من عرض أول فيلم فرنسى « محطة القطار » فى باريس ، عُرض نفس الفيلم فى مصر : أولاً بالإسكندرية (أوائل يناير ١٨٩٦) ثم فى القاهرة.

فنـــون الأدب

أُنشئت المكتبات العامة المجانية . وتكونت جمعيات الرعاية الاجتماعية ، بعضها يقدم المأوى والطعام المجانى للفقراء ، وللمتدربين والمتدربات، لتشجيعهم على التعلم واكتساب خبرات جديدة تنفعهم وتفيد المجتمع ، وبعضها ينشىء مدارس وفصولاً مجانية ، أو ورشات لإتقان الحرف والصناعات البسيطة، أو المستحدثة .

* وجبات مجانية للعاملات المتدربات

وزاد الإقبال على الروايات والأعمال الأدبية ، خاصة مؤلفات الكتاب الكبار، الذين طبعوا العصر بأفكارهم ونظرياتهم ، وكان لهم تأثير على من جاء بعدهم على امتداد القرن العشرين .

فى لندن : شارلز ديكنز ، جورج إليوت ، جورج مرديث (ت ١٩٠٩) ،

تولستوىْ

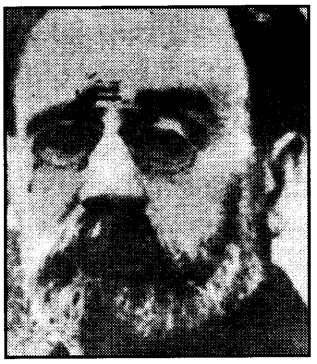

إميل زولا

جورج جيسينج (ت ١٩٠٣) ، صامويل بتلـر (ت ١٩٠٢) ، تومـاس هاردى(ت ١٩٢٨)..

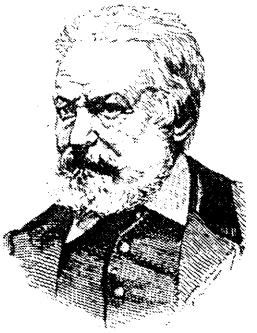

فيكتور هوجو

فى باريس : بلزاك ، فلوبير ، فيكتور هوجـو ، إميل زولا (ت ١٩٠٢) رائد القصـة الواقعية ، ألكسندر دومـا (الابن ـ ت ١٨٩٥) ، الذى واصل مسـار أبيه فى القصة التاريخية الرومانسية .

فى ألمانيا : تيودور شتورم ، فريتز رويتر .

وفى إيطاليـا : الساندرو مـانزونى روائى البطولات الوطنيـة ، جيوفـانى فرجا (ت ١٩٢٢) المجدد فى القصة ، وأنطونيو فوجازارو (ت ١٩١١) .

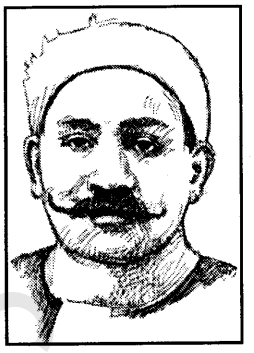

المنفلوطى

أما النهضـة الروائية الكبرى ، فكانت على الجانب الآخر : فى روسيـا . بعد عصر تورجنف ، وفيودور دوستويْفسكى ، جـاء ليو تولوستوىْ(ت ١٩٠٢) وتأثيره الكبير على الثقـافة الأوروبيـة والعـالمية ، وقـد تُرجمت معظم أعماله الخالدة ورواياته إلى كل اللغـات ، مثل : الحرب والسـلام ، وأنَّا كـارنينا ... وتلقفتها السينما ، وأنتجتها عدة مرات مع أجيال المخرجين العظام .

فى مصر والشرق العـربى : سـاعـد ظهـور وتزايـد وانتشـار الصحف والمجـلات ـ منذ أواخر القـرن ١٩ ـ على جذب أعـداد كبيرة من الجماهير إلى فنون الأدب ، وخـاصـة الرواية والقصـة .. فقـد اهتمـت ـ وتنافست ـ الصحـافـةبنشر القصص ، ومنهـا : الأهرام ، مصبـاح الشرق ، اللطائف ، الضيـاء ، فتـاة الشرق ، المقتطف، الهلال ، مسـامـرات النديم ، مسـامـرات الشعب ، الفكاهـة العصرية، الروايات الجديدة ، الـراوى ، السمير ، الروايات الكبرى ، سلسلة الروايات العثمانية ...

كان الطابع الغالب هو الروايات . أما القصة القصيرة ، فكانت قليلة جدًّا،

لم يتعود عليها الذوق العلم . وفى أوائل القرن العشرين ظهر نوع جديد من الترجمة الممصرة . وعلى رأس هذه الحركة الجديدة : مصطفى لطفى المنفلوطى (توفى ١٩٢٤)، الذى ارتقى بأسلوب القصة ، وعُنى باللفظ وموسيقى العبارة ، فكان سهلاً مسترسلاً ، ولقى رواجاً كبيراً فى عصره . وكذلك الشاعر حافظ إبراهيم فى قصة «البؤساء» عن مؤلفها الفرنسى (فيكتور هوجو) .

ثم راجت ترجمة النصوص الأدبية : إنجليزية ، وفرنسية ، وإيطالية ، وغيرها، بأسلوب أدبى جيد سليم . ومن أشهر الذين تفوقوا فى هذا المجال :

جبران خليل جبران

حافظ ابراهم

إبراهيم عبد القادر المازنى ، ومحمد السباعى ، وعباس حافظ ، وخليل مطران، وجبران خليل جبران ، ومحمد عوض ، وزكى نجيب محمود ، وفخرى أبو السعود ، وعبد الرحمن صدقى ، ومحمد عبد الله عنان ، ودرينى خشبة ... ثم تلاهم : أحمد حسن الزيات، الذى أنشأ مجلة «الرواية»، وكان لها اهتمام كبير بالقصة القصيرة المترجمة .

وبرز فى النقد القصصى ـ فى أوائل القرن العشرين ـ يحيى حقى .

« إن نشوء القصة القصيرة الفنية فى مصر ، واكب انتفاضة الأمة المصرية، وثورتها العارمة سنة ١٩١٩ . كُتب القليل منها قبل انفجار الثورة ، وهو يتمثل فى قصص محمد تيمور ، ثم تبعه بعد الانفجار ـ فى العشرينيات من القرن ـ الرواد الآخرون . وقد انبثقت القصة من الثورات الوطنية ، والفكرية، والأدبية، والاجتماعية . ولهذا .. نراها لا تكاد تتخلى عن رسالتها الاجتماعية ، ودعوتها الحارة إلى مجتمع أمثل » .

يحيى حقى

الصحافـــة

شهـد الرُّبع الأخير من القـــرن التـاسع عشر تجديدات كثيرة وابتكارات واختراعات متعددة ، تطورت وامتدت آثارهـا إلى القرن التالى ، وأضيف إليها مزيد . كانت الصحافـة من بين المجالات التى دخل عليها الابتكار والتجديد : فى مواد الطبـاعة ، والآلات ، وأجهـزة البرق والاتصال ، ووكـالات الأنباء ، وفى الفن الصحافى ذاته ..فى التبويب ، والتصوير ، والتنظيم ، والإخراج ، وأسلوب التناول والعـــرض ، واللغـة... كل ذلك قفـــز بالصحف والمجـــلات ، قيمـة وانتشـــاراً وصناعة ، ثم تأثيراً على الرأى العـام، وعلى السيـاسات الحكوميـة والعالمية

*** فى مصر :**

عرفت مصر فن الصحـافة مع قـدوم الحملة الفرنسيـة ، ثم احتكر محمد على باشا لنفسه هذا الفن ،مثلما احتكر كل شىء فى مصر ، فأنشـأ « ديـــوان

محمد على باشا

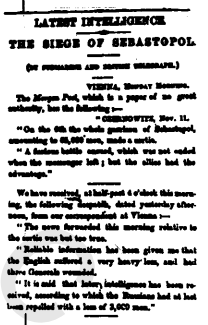

LATEST INTELLIGENCE.

THE SIEGE OF SEBASTOPOL

(BY TELEGRAPH AND SPECIAL MESSENGER.)

VIENNA, Thursday Morning.

The Morgen Post, which is a paper of no great authority, has the following :—

"CHERNOWITZ, Nov. 11.

"On the 6th the whole garrison of Sebastopol, amounting to 60,000 men, made a sortie.

"A furious battle ensued, which was not ended when the messenger left ; but the allies had the advantage."

We have received, at half-past 4 o'clock this morning, the following despatch, dated yesterday afternoon, from our correspondent at Vienna :—

"The news forwarded this morning relative to the sortie was but too true.

"Reliable information has been given me that the English suffered a very heavy loss, and had three Generals wounded.

"It is said that later intelligence has been received, according to which the Russians had at last been repulsed with a loss of 3,000 men."

الإعلان عن إضرابات عمالية فى سباستبول

الجورنال» لنشر حسابات الأقاليم يوماً بيـوم ، وجعل له مطبعة بالقلعة ، ثم أضـاف إلى النشرة التى يصـدرها هذا الديوان مـوضـوعات أدبيـة ولغـوية وأشعاراً ، وقصصاً ، وموضوعـات تاريخية ، وطبية ، ورياضيات ، وبرقيات واردة من الخارج ... وزاد فى توزيع النشرة على الدواوين وعلى حكام الأقاليم؛

فكانت بداية لجريدة « الوقائع المصرية » ، وهى الجريدة الرسمية للدولة آنذاك .

طلع فجر القرن العشرين ، وفى مصر ـ بالقاهرة والإسكندرية ـ عدد لا بأس به من الصحف متنوعة الأهداف والاتجاهات ، منها : وادى النيل (أول صدورها (١٨٦٩) ، ونزهة الأفكار (١٨٦٩) ، وروضة الأطيار (١٨٧٥)، والوطن (١٨٧٦) ، وجريدة مصر (١٨٧٦) ، والعصر الجديد (١٨٨٠) ، واللطائف (١٨٨٢) .. وفى عام (١٨٨٥) صدر قرار إنشاء « الأهرام » ، وجاء فيه : « رخصت الخارجية المصرية لحضرة سليم تقلا باشا بإنشاء مطبعة تسمى الأهرام ، كائنة بجهة المنشية بالإسكندرية ، تطبع فيها جريدة

جمال الدين الأفغانى

سعد زغلول باشا

الأهرام

* الصفحة الأولى من العدد الأول للأهرام

الأهرام ، تشتمل على التلغرافات ، والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية، وكذا بعض كتب لمقامات الحريرى (أى الموضوعات الأدبية !) ، وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة ، والطب ، والرياضيات ، والأشياء التاريخية ، والحكمة والنوادر ، وما يماثل ذلك . وقد أمرت الخارجية محافظ

الإسكندرية بعدم المعارضة للمذكور فى إنشاء المطبعة المحكى عنها » .

قضى جمال الدين الأفغانى ثمانى سنوات فى مصر (مارس ٧٩ ـ أغسطس ١٨٨٧)، شهد فيها نكبة مصر بالديون الأجنبية ، بسبب إسراف الخديوى إسماعيل (بلغت ٩٥ مليوناً من الجنيهات) رغم محاولاته التى لا تُنكر فى إدخال النهضة الصناعية والعمرانية الحديثة إلى البلاد [١] .كانت تلك الديون سبباً فى التدخل الأجنبى المباشر فى شئون مصر وشعبها ، انتهى بالاحتلال .

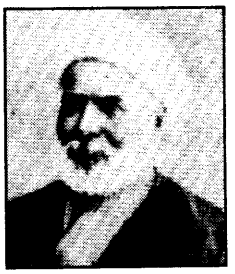
محمد عبده

وفى مجال الصحافة ، كان للشيخ الأفغانى تأثير كبير ، مثلما كان تأثيره على القيادات وأُولى الرأى .. فقد التحق بالمحافل الماسونية (وأسس محفلاً أضيف إليها) ، فكان يلتقى فيها بالأمراء المصريين ، ومنهم الأمير توفيق (بن إسماعيل) الذى خلف أباه فى الحكم .

مصطفى كامل

وعلى يد جمال الدين الأفغانى ظهر رجال حظوا بالشهرة ، وكانت لهم أدوارهم مع الصحافة ، مثل : الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وإبراهيم اللقانى ، وإبراهيم الهلباوى ، وعبدالله النديم ، وأديب إسحق الذى أوحى

الخديو توفيق

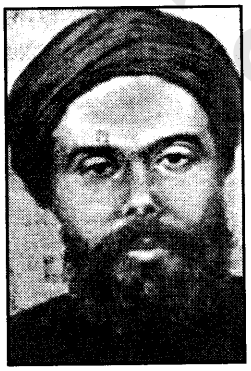
عبدالله النديم

إليه الشيخ الأفغانى بإصدار جريدة مصر ، وكان هو (الأفغانى) يكتب بإمضاء : « مُظهر بن وضَّاح » . كما أنه أشار على أديب إسحق بإصدار جريدة التجارة ، وكان يكتب فيها الشيخ محمد عبده وإبراهيم اللقانى . كما أن الأفغانى هو الذى شجع يعقوب بن صنوع لإصدار جريدة « أبو نضارة» الأسبوعية السياسية الهزلية .(ويعقوب هذا رجل يهودى ، اتصل بالشيخ الأفغانى ؛ وتأثر به) .

---

(١) لبيان ضخامة الديون الأجنبية هذه ، وثقل وطأتها ، نشير إلى أن ميزانية مصر عام ١٨٧٩ كالآتى : ٩٩٤٩٠٠٠ جنيه إيرادات ، يقابلها ١٠٣٣٠٠٠٠ج مصروفات (بعجز ٣٨١٠٠٠ ج) . كانت مخصصات الخديوى السنوية ٣٠٠٠٠٠ ج ومخصصات العائلة الخديوية كلها ١١٠٧٣٥ ج بالنسبة، وميزانية وزارة الجهادية (الدفاع) والمدارس الحربية ٧٠٠٠٠٠ ج ، والخارجية ٩٠١٥ ج ، والداخلية مع أعضاء مجلس الوزراء ٢٦٨٠٠ ج سنويا ، والمعارف (التعليم) ٥٣٠٢٠ ج .

ميدان الأوبرا بالقاهرة سنة ١٩٢٠ وبه تجمعات طلابية وشعبية وبينهم باعة الصحف .

لما طُرد جمال الدين الأفغانى من مصر ، لحق به الشيخ محمد عبده فى فرنسا، وأصدرا معاً فى باريس جريدة « العُروة الوُثقَى » .

بعد الثورة العرابية وفشلها ، واحتلال الإنجليز لمصر ، وعزل إسماعيل ، انقسم الرأى العام بين مؤيد لإسماعيل ،ومعارض له ...بين مناصر لعرابى ، وساخط عليه . وانعكس ذلك على الصحف والمطبوعات ، وشجع على ظهور صحف جديدة ، لتعبر عن الآراء المتحالفة المتضاربة ، وتثير الرأى العام، مثل: « مصر الفتاة » ، و « المقطم » لسان حال الاحتلال (١٨٨٨) ، و«المؤيد» لمقاومة المقطم (١٨٨٩) ، وتفنيد مزاعمها .. وكان يحررها الشيخ على يوسف ، وأسهم الزعيم مصطفى كامل فى تحريرها .

فى يناير ١٩٠٠ صدر « اللواء » جريدة مصطفى كامل ، وأعلنت عن برنامجها من أول يوم : « خدمة الوطن والإسلام ، بأشرف السبل وأنفعها ،

الشيخ على يوسف

صورة من مطلع القرن العشرين لجانب من جمهور المستمعين إلى الزعيم مصطفى كامل بدار اللواء بالقاهرة .

والسعى وراء الاتحاد والوفاق بين بعض المصريين وبعض من جهة ، وبين كافة المسلمين من جهة أخرى ، والعمل على تربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية ، وترقية التجارة والصناعة ...» .

الـرأى العـام

تضافرت عوامل كثيرة ساعدت على تكوين رأى عام للأمة أو المجتمع ، له قوَّته وتأثيره فى اتخاذ القرارات ، واتجاه السياسات ، ومسار الأحداث . من هذه العوامل :

انتشار التعليم ، وزيادة أعداد الصحف والمجلات ، واتساع مناطق توزيعها ، وتقارب المسافات بين الناس ، سواء فى المدن ، أم الضواحى والأقاليم بسبب التجمعات السكانية المكثفة ، وأيضاً بسبب وسائل الانتقال والاتصالات السريعة ، وبسبب اختراع البرق ، ثم الهاتف (التليفون) .ومن هذه العوامل المكونة للرأى العام أيضا: إنشاء الأحزاب والنقابات المهنية والعمالية ، وتنامى الطبقة المتوسطة ، والإحساس المشترك بالظلم ، أو القهر، أو السيطرة ، أو الاحتلال والعدوان ...

وكان للنهضة الأدبية والفنية تأثير كبير على إيقاظ الأذهان والضمائر ، وتنبيه العقول والمشاعر ، يغذيها المفكرون والأدباء والشعراء والفنانون ، كلٌّ بأسلوبه ، وكفاءته ، ومنهاجه ، وقدرته ، وينفخ فيها ويوهِّجها ساسة

* مظاهرات أعضاء النقابات العمالية ، تعلن بجرأة عن مطالبها بعد طول معاناة وظلم وقهر ، فى رسوم من بريطانيا وفرنسا وألمانيا (بين ٨٣ـ١٨٩٩)

إسماعيل باشا

محنكون محترفون ، وقادة طامحون مُطاعون ، بعضهم يُضمر الانتفاع والاستئثار بمغنَم ، وبعضهم يضحى بنفسه ويتسامَى عن أى مطْمع . ومن هؤلاء الذين تألقوا فى تلك الفترة المواكبة لمطالع القرن العشرين :جفرسون ديفيز (الولايات المتحدة) بطل الدفاع عن حقوق الولايات ، وتوسيع مدى إلغاء الرقيق ، ليشمل المناطق الغربية الأمريكية . والكاتب السياسى الروسى ألكسندر هِرْزن ، وبطل الانتصار اليابانى على الأسطول الروسى سنة ١٩٠٥ الأدميرال توجو هيهاشيرو (ت ١٩٣٤) ، وشارل ستيوارت بارنل فى أيرلندا ، وكيرهاردى فى إسكتلندا (أبو الاشتراكية الاسكتلندية مع كاننجهام) ، وجون ستيورات ميل فى إنجلترا ... وغيرهم .

من الحق أن يقال إن الخديوى إسماعيل ـ فى مصر ـ ساعد بالمال والاحتمال ـ فى فترة من حكمه ـ على ظهور ونمو الصحافة الحرة الشعبية فى

*الثوار الاشتراكيون فى باريس يحطمون تمثال نابليون (١٨٧١)

* فى القاهرة أواخر القرن ١٩

توجو هيهاشيرو

مواجهة الاحتلال، (كما فعل ذلك مع سليم النقاش ، وأديب إسحق ، وأحمد فارس الشدياق ...) . وهذه الصحافة الشعبية بدورها أسهمت فى إيقاظ وتكوين الرأى العام ، الذى بلغ ذروته وأكبر انتصاراته فى ثورة ١٩١٩ .

ومن بين الصحافة الحرة الجريئة التى كانت تشدد فى نقد الوزيرين الأجنبيين بالوزارة المصرية ـ وكان تعيينهما حسب شروط الاحتلال ـ جريدة (الوطن) لميخائيل عبدالسيد ، وجريدة مصر ، وجريدة التجارة .

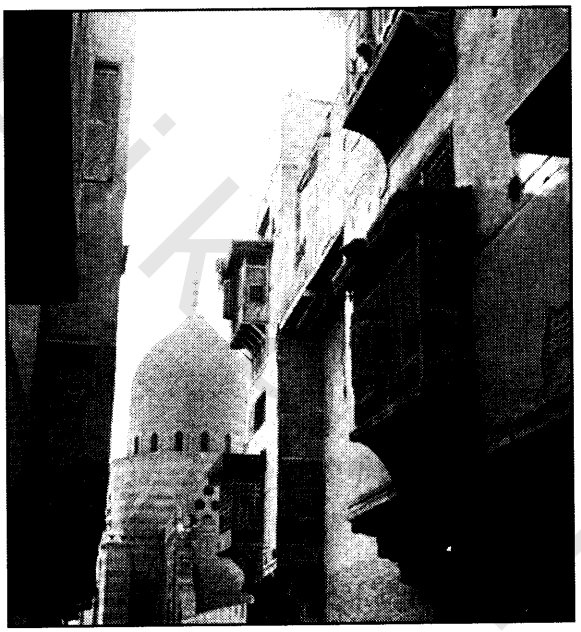

وفى عام ١٨٧٨ تألفت هيئة شعبية باسم « الجمعية الوطنية » أو الحزب الوطنى من أعضائها شريف باشا (وله دور سياسى وجماهيرى وطنى كبير) ، وشاهين باشا ، ومحمد لطفى باشا ، وراغب باشا ، وسلطان باشا .

وفى الإسكندرية تألف « اتحاد الشبيبة المصرية » برئاسة عمر لطفى باشا محافظ الإسكندرية ، ومن أعضائه : إبراهيم أبو هيف ، وإبراهيم بك مسعود، ومحمد بك شوباش ، وعبدالغفار الغريانى ، وقد دعَتْ لجنته إلى الاستقلال الاقتصادى ، وإنشاء بنك (مصرف) وطنى للمصريين (١٨٧٩).

وفى الإسكندرية أيضا (١٨٧٨) أنشئت الجمعية الخيرية الإسلامية

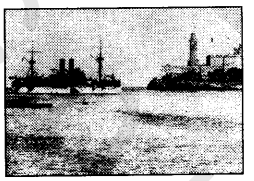

باخرة تدخل البوغاز السكندرى سنة ١٨٩٨ .

* الإسكندرية أوائل القرن العشرين

بدعـــوة من الكاتب الأديب الصحافى عبدالله النديم ، وبعض أثرياء المدينة ، لمقـاومـة الطغيـان الأجنبى بكل صـوره ، وفتْح المدارس الحرة لتعليم البنين والبنات ، وتهذيب الأخلاق ، ومسـاعدة الفقـراء (وهى غير الجمعية الخيرية الإسلامية الحالية التى تأسست عام ١٨٩٠) .

وفى القـاهرة ١٨٨٢ ، ظهـرت هيئة شعبيـة باسم « جمعيـة المقـاصـد الخيرية» ، ومن أعضـائها : الشيخ محمـد عبـده . والشيخ محمد عبـده ، هو امتـداد لعلماء وشيوخ سيـاسيين كبار ، سبقـوا بأداء دورهم فى الدفـاع عن الشعب وحقـوقه ضـد استبداد الحكام، وضـد جبروت الاحتلال ، بل وضـد مظالم الدولة العثمانيـة ذاتها. ومن أمثال هـؤلاء الذين لا ينساهم التـاريخ : الشيخ المنصـــورى ، والشيخ على الصعيـــدى ، والشيخ الـدردير ، والشيخ العروسى ، والشيخ عمر مكرم ، والسيد البكرى نقيب الأشراف .. وقد ذكرت صحيفـة البروجـريه الفرنسيـة المصرية (ظهـرت عـام ١٨٦٩ ، واتجاههـا معـارض للخديـوى إسماعـيل) فى ديسمبر ١٨٨٩ ، قالت : « إن المصريين بدأوا يهتمون بالسياسة ، ويترقبون الأخبار الواردة من الآستانة ، ويعلقون عليها : إن الرأى العام يتكون فى مصر».

وكان لظهور رجال ، مثل : عبـدالسلام المويلحى،صاحب الصوت الوطنى المجلجل فى مجلس شـــورى النواب (أو مجلس النواب المصرى) ، كـــان له تأثير كبير على الرأى العام . ورجل مثـل شريف باشا (رئيس وزارة ١٨٨٩)

عبد السلام المويلحى (باشا)

محمد شريف باشا

يستحق الإشادة بمآثره بالتفصيل مستقبلاً إن شاء الله ، حتى تعتز الأجيال اللاحقة بمن سبقهم من الرجال العظام .وقد كتب عنه الشيخ محمد عبده فى مذكراته : « كان شريف باشا ـ رحمه الله ـ من أقوى عوامل النهضة التى انقلبت إلى فتنة » .وشريف باشا هو واضع أول دستور فى مصر على أحدث المبادىء العصرية .

العالم الإسلامى

ذاق العالم الإسلامى مرارة الضَّعف والانكسار فى القرن التاسع عشر ، حتى منتصف القرن العشرين تقريباً ، فى الوقت الذى نهضت فيه دول العالم الغربى وروسيا واليابان ، سياسيًّا ، وعسكريًّا ، واقتصاديًّا ، وتكنولوجيًّا ، واجتماعيًّا ، فتعرضت الحضارة الإسلامية لهزات عنيفة متلاحقة ، ليس فى أطراف العالم الإسلامى وحسب ، بل فى قلب هذا العالم الذى أحاطت به مطامع القوى الكبرى الراصدة المترقبة ، وهى تعلم يقيناً أن حضارة الإسلام (وإن وهَن المسلمون) فريدة رشيدة ، مستعصية على الإبادة والزوال ، كما حدث مع حضارات الفراعنة أو الإغريق والرومان ، لأنها فى جوهرها خالدة آبدة ، لا تغفو ولا تنام ، لن تندثر ولن تموت ، بفضل الله .

كانت طلائع زحف تلك القوى الإمبريالية على العالم الإسلامى ممثلة فى

* السيطرة الأوروبية على العالم الإسلامى (حتى ١٩٢٠)

وفـود الخبراء والمستشـارين ، والعلماء المنقِّبين ، والمفكرين المتحـذلقين ، وطـوائـف المستشرقين ، وجماعات المبشرين .. كلها تبحث وتفتش ، وتجمع المعلومـات ، وتثير القـلاقل والفتن والمنـازعـات ، وتبهـر الشعـوب الغـافلة المتخلفة ، بما تحمل إليهـا من معارف جديدة،وتكنولوجيات حـديثة ، وأفكار مـزيَّنة . وجرت محاولات للإصـلاح والتجـديد هنا وهناك فى العالم العـربى والإسلامى ، لكنهـا كانت انتفاضـات وقتية باهتة ، سرعـان ما زالت آثارها ، وأخمدت أنفاسـها ، فانطفأت أنوارها لأسباب كثيرة .

وفوق مـا حدث فى تاريـخ الحضارات الكبرى ، واجهت حضـارة الإسلام قـوى عنيـدة متجمعة ، انتهـزت فـرصـة ضَعف المسلمين وتخلفهم علميًّـا ومـاديًّا وصناعيًّا ، مع تفـرقهم وتنازعهم ، وشـدة الضغـائن والخصومـات بينهم ؛ فغالبتهـم تلك القوى بكل الوسائـل ؛ وتغلبت . فلما سادت وتمادت ، حاولت ـ وكثيرا ما نجحتْ ـ تشكيل العالم الإسلامى على نهجها وصورتها .

obeikandl.com

إن البداية فى غزو العالم الإسلامى فكريًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا ، كانت مع الحملة الفرنسية التى جاءت إلى مصر والشام بعد زمن طويل من الحروب

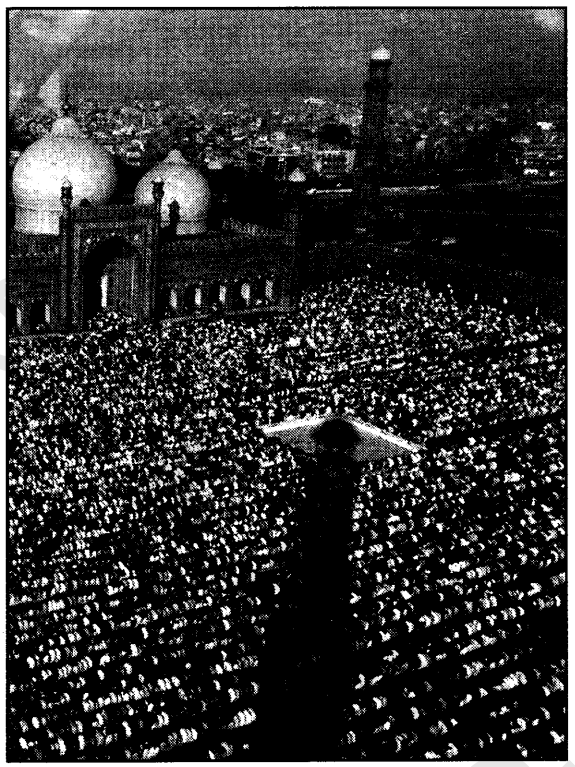

الصليبية الفاشلة ، ثم استمرت الضربات تتلاحق ، يتلقاها العالم الإسلامى من الإنجليز (فى الشرق الأوسط، وأفريقيا ، والهند) ،ومن الهولنديين (جنوب شرق آسيا) ، ومن روسيا القيصرية (التى احتلت مناطق القوقاز ، وجزءاً كبيراً من إيران ، وأذربيجان ، ووسط آسيا) . وتقدم الفرنسيون يقتطعون نصيبهم فى شمال أفريقيا : الجزائر وتونس والمغرب ، ثم زحفوا لاحتلال مناطق الصحراء الكبرى الأفريقية حتى السنغال ، وكلها ممالك إسلامية ، حتى وصلوا إلى حدود السودان ، الذى فرضت بريطانيا نفسها عليه فى الحكم مع مصر ، ثم فصلته عنها ، واستأثرت به احتلالاً واستعماراً .

ولم يَبْق فى أواخر القرن التاسع عشر إلا بقايا الدولة العثمانية المريضة التى توشك على الاحتضار ، فترصدت لها عيون القوى الأوروبية الكبرى آنذاك . ولحقت بها فى انتزاع ولو « شرائح » من الغنيمة ، دول صغيرة الحجم فى الميزان الدولى ، مثل إيطاليا (بسطت حمايتها على ليبيا) ، وإسبانيا

(محميات صغيرة شمال المغرب وجنوبه) .

وفى سنة ١٩٢٠ اختفى اسم « الدولة العثمانية » من العالم ، حيث تقلصت فى مساحة محدودة ، عُرفت ـ وما زالت ـ باسم : تركيا . ولم يبق «مستقلاً » من إمبراطورية العالم الإسلامى الفسيحة كلها إلا : أفغانستان ، واليمن (بدون عدن) ، ووسط وغرب وشمال الجزيرة العربية .. فقط !.

* « وتحسبهم أيقاظا وهم رُقود » .. أو نيام .. نيام . المُلا نصر الدين (نلاحظ مدلول الاسم) الشخصية الرئيسية فى الرسوم يُنادى ليوقظ النوام ، ولكن لا مُجيب !

* اسماعيل بك غسبرنسكى داعية الإنقاذ والإيقاظ يتلقى الإهانة من المتخلفين أدعياء العلم المستور .

ويوجد بين أيدينا بعض صحف ومطبوعات تلك الفترة الزمنية الغابرة . والصحافة ـ كوسيلة إعلامية بارزة ـ مرآة ووعاء : مرآة تعكس صورة المجتمع ، وما يدور فيه ويدخل عليه ، ووعاء يختزن الأحداث والوقائع والأفكار والآراء والأشخاص والأحوال، يوماً بيوم ، ليكون حكم التاريخ بعد ذلك لها أو عليها.

زادت وانتشرت أعداد الصحف والمجلات فى العالم الإسلامى شرقاً وغرباً فى النصف الثانى من القرن ١٩ وأوائل العشرين . فقد شهد مطلع القرن مثلا: نحو ١٥٠ صحيفة ومجلة منتشرة فى مصر ، و١٦٠ فى آسيا الوسطى ،

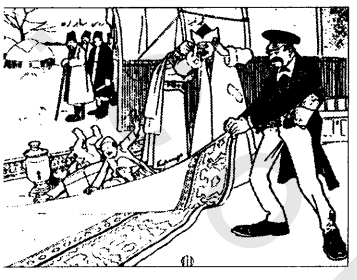

* ممثل الحكومة الروسية الراغبة فى التوسع يسحب البساط من تحت المسلمين القرغيز ، ويطردهم قائلا : « اخرجوا من هنا .. فالأوكرانيون يريدون هذه الغرفة» ! (نفس الذى فعله اليهود بعد ذلك بسنوات فى فلسطين !) .

* الصراع بن التعليم الحديث والقديم فى عليكرة بالهند : الأول يمسك بطرف الهلال (شعار المسلمين) يرفع عاليًا ، ويحاول إنقاذهم ، والثانى إلى اليسار يضغط ليقتل .

و٣٧٠ فى إيران ، وأكثر من ذلك فى تركيا العثمانية ، وأكثر من مائة فى مناطق المسلمين فى الصين (بين ١٩١٣ ـ ١٩٢٩) .

ولعل صحيفة تتار القرم الإصلاحيين ، واسمها « الترجمان » ، التى

(١)

(٢)

(١) تضافر الدب الروسى مع الجمود العلمى والتعليمى المتخلف يكاد يخنق دعاة الإصلاح والتجديد.

(٢) كانت شكوى العلماء المتحذلقين المستريبين أن الأولاد الذين يذهبون يوميًا إلى المدارس الحديثة فسدت عقولهم. وتراهم هم فى عزلتهم ومجلسهم غفاة غافلين ،وكثيرًا ما تصادموا مع إخوانهم العلماء المستنيرين.

أنشأها عام ١٨٨٣ إسماعيل بك غسبرنسكى ، لعلها تصلح مثالاً على أشهر الصحف فى النقد اللاذع ، وأكثرها جاذبية للجماهير . وعلى المستوى نفسه كانت «جريدة معهد عليكرة » بالهند ، أنشأها أيضاً أحد دعاة الإصلاح هناك عام ١٨٦٦ ، وجريدة « الجواب » العربية ، التى حظيت بمكانة كبيرة بين القراء فى بلاد كثيرة .

وهذه الرسوم كاريكاتورية من صحف تفليس بالقوقاز ، ومن شمال الهند ، فى الفترة بين ١٩٠٦ ـ ١٩١٣ ، تعكس أفكار وآراء ذلك العصر ، وهى تعبِّر بحرية كبيرة وسخرية ذكية ـ وموضوعية ـ فى النقد ، ربما لأنها كانت تصدر فى أطراف العالم الإسلامى فى منأًى عن قبضة السلطات الحاكمة الضاغطة الباطشة فى قلب العالم الإسلامى ومركزه . وهى تؤكد ـ من ناحية أخرى ـ الإحساس السائد الغالب حينذاك ، بأن العالم الإسلامى ، رغم الاستعمار ، والضَّعف ، والتخلف ، والمحَن ، وعلى اتساعه ، واحد فى الأحزان والأفراح ، فى المشاعر والرغائب ، فى إدراك المخاطر والمثالب ، فى الحرص على الإصلاح والنهوض ، وكسر العوائق والقيود .

الاكتشافات والاختراعات الكبرى (١٨٨٠ـ١٩١٥)

السنة	الاكتشاف أو الاختراع	المكتشف أو المخترع
١٨٧٩	المصباح الكهربائى	توماس إديسون
١٨٨٠	السيسموجراف (جهاز قياس الزلازل)	توماس جريىْ
١٨٨١	الحصانة ضد مرض الماشية : الجمرة	باستير
١٨٨٢	المكواة الكهربائية	هارى سيلى
	ـ اكتشاف البكتيريا العصوية للدرن (السل)	كـوخ
١٨٨٣	البندقية الآلية	سير هيرام ماكسيم
١٨٨٤	قلم الحبر	لويس وترمان
	ـ محرك الاحتراق الداخلى	جو تليب ديملر
١٨٨٥	آلة بمحرك بترولى	ويليام بوروف
		جو تليب ديملر
١٨٨٦	الدراجة النارية (الموتوسيكل)	جوتليب ديلمر
	ـ السيارة بمحرك بترولى	كارل بنز
١٨٨٧	الفيلم السلولوزى (للتصوير)	جودوين
	ـ اكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية	هرتـز
١٨٨٨	الإطار المطاطى للعجلة	جون دنلوب(وقال : إن العالم سيمشى على الهواء) !
	ـ محرك بالتيار الترددى	نيقولا تسلا
	ـ مسجل الجراموفون	إميل برلينر
١٨٨٩	الفيلم الفوتوغرافى مع أول كاميرا كوداك	جورج إيستمان
١٨٩٢	السلم المتحرك (صعودا وهبوطا)	جيش رينو
١٨٩٣	السينيما توجراف (آلة العرض السينمائى)	الأخوان : لوميير
١٨٩٤	النول الآلى (الأوتوماتيكى)	ج . نورثروب
١٨٩٥	أول سفينة توربينية تنزل البحر	شارل بارصونز
	ـ اكتشاف أشعة (X) السينية	ويليام رونتجن
	ـ التلغراف اللاسلكى	ماركونى
	ـ موس (شفرة) الحلاقة	كينج جيلت
١٨٩٧	اكتشاف الإلكترون	جوزيف طومسون
١٨٩٨	محرك الديزل	رودولف ديزل

* جـــون دنلـوب يـركب دراجـة بعجلتين هـوائيتين من اختراعه .

	ـ اكتشاف إشعاع الراديوم	كورى وزوجته ميرى
١٩٠٠	السيلوفان	ج . براندنبرجر
	ـ سفينة الفضاء (المنطاد الهوائى)	جراف فرديناند فون زبلين
	ـ نظرية الكم (quantum)	ماكس بلانك
	ـ صدور كتاب : تفسير الأحلام	فرويد
	ـ الجرار	بنيامين هولت
١٩٠١	اختراع الراديو (اللاسلكى)	ماركونى
	ـ ابتكار المكنسة الكهربائية (بالشفط)	هربرت سسيل بوث
	ـ مجموعات الدم	كارل لاند ستينر
	ـ الآلة الكاتبة الكهربائية	ثاديوس كاهيل
١٩٠٢	الهورمونات	ويليام مادوك ، إرنست ستارلينج
	ـ اكتشاف طبقة الإيونوسفير (بالغلاف الجوى)	آرثر إدوين ، أوليفر هيفيسايد
	ـ الراديوم	بيير وماري كورى
	ـ أجهزة تكييف الهواء	ويليام كارْير
	ـ أسطوانة الكبْح (الفرامل) للسيارة	فردريك لانشستر
١٩٠٣	أول طائرة تطير بنجاح	أورفيل ، ويلبور رايت
	ـ جهاز رسم القلب الكهربائى	ويليام أينْثوفن
١٩٠٤	الصمام الثنائى المفرَّغ	جون فلمنج
١٩٠٥	نظرية النسبية	ألبرت أينشتين
	ـ السيليكون	فردريك كينج
	ـ الرغوة الكيميائية لإطفاء الحريق	الكسندر لورنت
	ـ جهاز الطرد المركزى المائى	هرمان فوتينجر
١٩٠٦	التجفيف بالتجميد	آرسن د . ، جورج بوردا
	ـ أفلام الرسوم المتحركة	جيمس بلاكتون ، والتر بوث
	ـ إدخال الصوت (وليس النطق) على أفلام السينما	أوجين لوسْت
	ـ اختبار الكشف عن مرض الزهرى	أوجست فون واسرمان
١٩٠٧	الغسالة الكهربائية	شركة آلات هورلى

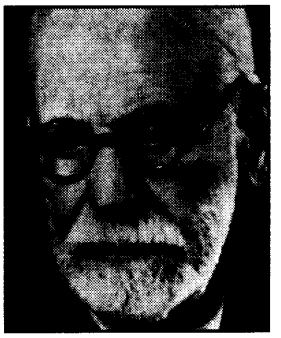

فرويد

ماركونى واختراع الراديو

obeikandi.com

	ـ التصوير الفوتوغراف الملون	لوى لوميير
	ـ جهاز الفاكس: إرسال الصور طِبْق الأصل	آرثر كورْن
١٩٠٨	البكْليت : مادة بلاستيكية تصنع منها أقلام الحبر والتليفونات ومقابض المظلات ...	ليو بيكلاند
١٩٠٩	النشادر الصناعى	فريتز هابر
	ـ السبب فى حُمى التيفوس	شارل نيكول
١٩١٠	فيروس الأورام	فرانسيس روس
	ـ نظرية الجينات الوراثية	توماس مورجان
	ـ أنوار النيون	جورج كلود
١٩١١	الأشعة الكونية	فيكتورهيس
	ـ نظرية تكوين الذرَّة	إرنست رثرفورد،بوهر
	ـ فكرة وجود الثقب الأسود الكونى	جون ويلر
	ـ فَرْط توصيلية (حالة من المقاومة الكهربائية الضئيلة فى بعض المواد، كالرصاص والزئبق عند تبريدها فى درجة حرارة قرب الصفر المطلق)	هيك أونس
	ـ اختبار بنيت للذكاء	ألفريد بنيت
	ـ الحاسبة الأوتوماتيكية (عمليات الجمع والقسمة آلية بالكامل)	جاى مونروى
	ـ الطائرة أحادية السطح (جناح غير مزدوج)	ليون لوفاسير
١٩١٢	فيتامين ب ١	كاز بمير فونك
	ـ قاطرة الديزل	شركة شمال بريطانيا للقاطرات
١٩١٣	الفولاذ (الصلب) الذى لا يصدأ	هارى بريرْلى
	ـ فيتامين ا (A)	توماس أوزبرن،لافاييت مندل
	ـ تصنيف النظائر المشعة	جورج فون هفْسى،فردريك بانت
	ـ خط التجميع للإنتاج بالجملة	هنرى فورد
١٩١٤	حمالة الصدر (للنساء)	مارى جاكوب
	ـ آلة التصوير ٣٥ مم (لايكا)	أوسكار بارناك
	ـ قاذفات اللهب	د . فون تابِن

١٩١٥	تعديل السعة (AM) فى الإذاعة اللاسلكية (تعديل حامل الموجات بتغيير سعته)	هندريك جوهانز

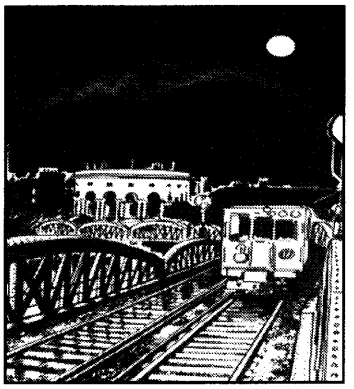

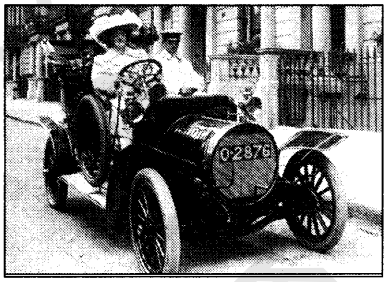

ميراث العلوم ، وأعاجيب الوراثة

بميراث كبير من المعارف والمكتشفات والعلوم ، هذا القرن بدأ . وكما استهلَّ فى عامه الأول بإعلان نبأ عن توصل بحوث ثلاثة علماء فى ثلاث دول مختلفة (فى هولندا، وألمانيا ، والنمسا) إلى تأكيد نظرية « جورج منْدل » عن الوراثة وآثارها (دون معرفة أى شىء عن أسلوب أو « ميكانيكية » عملها)، كذلك يأتى ختام القرن ـ قرن العلوم المبهرة ، والتكنولوجيا المتقدمة ـ بإثارة ضجة كبرى عن استنساخ حيوان كامل النمو سليم الحياة ، من حيوان أم ، مباشرةعن غير الطريق الطبيعى المعروف بالتلقيح. وثار جدل شديد صاخب فى العالم كله : هل سيتحقق ذلك قريباً مع الإنسان ؟ ، وهل هى قدرة بشرية جديدة تُعارض أو تُنافس قدرة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وتَفَرده بالإيجاد والإبداع ؟ .

قبل الإجابة عن السؤال الأول ، نتوقف قليلاً عند السؤال الثانى : هل حقا قفز الإنسان فى نهاية القرن العشرين قفزته الهائلة تلك بنجاحه فى عملية

1901, M. Mendel confirmé.

Trois naturalistes ont retrouvé indépendamment les uns des autres, et sur des exemples différents, les lois que Georg Mendel avait établies pour l'hérédité des caractères du Pois. Hugo de Vries, Hollandais, a travaillé sur les Onagracées et retrouve les variations discontinues (en nombres entiers), confirmées par l'Allemand Carl Correns et l'Autrichien Eric von Tschermak. Le mécanisme même de l'hérédité reste entièrement inconnu.

* الصحيح رياضيًا أن القرن العشرين يبدأ من عام ١٩٠١ ، لكن الناس تعارفوا ـ أو شاع بينهم ـ أنه يبدأ من عام ١٩٠٠ ، ولا ضير أن يؤخذ أحيانًا بالعُرف . وهذا ما نشر عام ١٩٠١ عن تأكيد صحة نظرية مندل عن الوراثة.

التكاثر الحيوانى بالتكرار المتطابق مع الأصل (وليس بالتزاوج والإخصاب) ، متحديا ببراعته ما تؤكده الأديان السماوية من قدرة الله الخالق وحده دون سواه ؟؟ .

قيل عالميًّا كثير فى هذا الشأن ، واستَعَر الجدل والدجل ، واحتدم النقاش والهراش .. ففرح بحُجته البعض واغتبط ، بما ظنه طعْن فى الدين بلا شطَط . وجنح آخرون إلى ما تيسر من تفسير وتأويل ، لعله يدفع الحُجة ويقيم الدليل . وتحير فريق من الناس ، من المسالمين صادقى الإحساس ، الذين سرعان ما يستثيرهم الوسواس الخنَّاس. والمسألة ـ بحمد الله ـ لا غموض فيها ولا التباس، إذا ما رجعنا إلى ثوابت الأصول فى الأساس .

صورة حقيقية للجنين حيا فى بطن الأم وعمره ١٤ أسبوعا .

نقول ـ مستعينين بالله ـ : إن الإسلام خاتم رسالة السماء إلى سكان الأرض ، وبكل الجلال والجمال والقوة والتبيان ، لا يقف أبداً موقف «دفاع» أو «تبرير»، خاصة مع أولئك الذين يصرخون ويصخبون عن هوى سقيم ، وقصد ذميم، ونية سيئة ... لأنه ـ ككل لا يتجزأ ـ أرسى القواعد العامة ، وأقام الأركان الثابتة ، لم يفرط فى شىء ، ولم يغفل عن بيان شىء . وفى هذا الموضوع بالذات ـ الذى نحن بصدده ـ لا نسرع باللجوء أولاً إلى قوله تعالى فى سورة المؤمنون : «.. فتبارك الله أحسن الخالقين » ، ثم نقول : انظروا ..! ها هو القرآن يحترز، ويصرِّح بأن الله يُجرى معجزات يصنعها بعض خلْقه ، مثلما أحيا أحدهم الموتى، أو نادى غيره الطيور المقطعة الأجزاء الملقاة فوق الجبال ، فجاءته عقب ندائه تطير وتحلِّق .لا . ليست هذه حُجتنا ، ولا برهاننا فى البداية من خلال تلك الآية الكريمة ، لأنها وردت فى معرض الحديث عن «معجزة » خلْق الإنسان ، و« إبداع » الخالق ـ جل وعلا ـ فى إحكام هذا الخَلْق مرحلة بعد مرحلة ، وصياغة بعد صياغة ، مما وضَّح جانباً كبيراً منه علم الطب ، وعلم التصوير فى القرن العشرين ؛ فجاء ختام الآيات : « ... فتبارك الله أحسنُ الخالقين » ، أى أحسن المبدعين فى ذروة الدقة والإحكام والعلم ، مهما تتابعت المراحل، وتطلب الأمر استمرار زمن وتطور نمو فى ظلام الأرحام . وهى بحق «معجزة » تتحدى ـ فى هدوء وصمت ـ كل قدرات البشر على امتداد العصور والقرون ، وتتكرر كل يوم ، بل كل ساعة .

وهنا تبرز أمامنا كلمة « المعجزة » ، وكلمة « التحدى » . وهما ـ من منظور الإسلام والإيمان ـ قائمتان إلى يوم القيامة . كيف ؟ .

لأن كلمة « خلْق » و« خَلَق » تعنى : إيجاد الشىء من عدم على غير مثال

سابق . وكل شىء حى ، وكل كائن حى فى عالمنا المدرَك ـ من وحيد الخلية إلى الإنسان المكرَّم ـ خُلق ووُجد فى هذا العالم (والله يعلم ما بالعوالم الأخرى) بقدرة الله تعالى من عدم ، وعلى غير مثال سبق . وقدكفانا علماء هذا القرن العشرين العالميين الكبار ـ وبعضهم حائز على جائزة نوبل ـ مشقة الرد ، الذى أصبح ممجوجاً مرذولاً على أدعياء الوجود بالصدفة ، والوجود بالتطور ، والوجود بالتناسخ ، مما ثار وفشَى واستشرى فى القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين .

النعجة دوللى والعالم البريطانى الذى أثار فى منتصف التسعينيات ضجة عالمية حول الاستنساخ .

وماذا فعل علماء « الاستنساخ » مؤخراً ؟ . تعاملوا ـ كما سوف نرى ـ مع خلية « حية» ، « وبويضة » حية ..أى مع خليتين حيتين مخلوقتين ـ بقدرة الخالق عز وجل ـ وموجودتين بالفعل فى واقع الحياة . هل يستطيع أحد ادِّعاء القدرة ـ فى عصر التكنولوجيا الحديثة ، وتفتيت الذَّرة ، والصعود إلى القمر ـ على « خلْق » ، أو « إيجاد » خلية حية واحدة ـ فقط واحدة ـ وهو يعرف الآن مكوناتها وأوزان عناصرها حق المعرفة ؟؟ . هل يستطيع ؟!.. إذن لا خلق هنا فى عملية الاستنساخ ولا خالق .

وهذا يردنا إلى « أصل » المسألة ، و« أساس » التفكير الإيمانى الرشيد السديد ـ كما علمنا القرآن الحكيم ـ سواء فى موضوع الاستنساخ الذى أثير فى أواخر القرن العشرين ، أم فى أى موضوع آخر يستجد إلى القرن العشرين بعد الألف ، إن شاء خالق الأرض والسماوات ومن فيهن أن يمتد عمر الأرض وأهلها إلى ذلك الحين ! .

فى القرآن الكريم آيتان خالدتان تُريحان المجادلين بالحسنى ،وتردَّان المعاندين ـ فى عَنت ولجاجة ـ على أعقابهم ؛ فينقلبوا خاسرين ، أو لعلهم يتدبرون بالحُسْنى ؛ فيسلِّموا طائعين . يقول تعالى ـ منذ أربعة عشر قرناً ـ فى محكم التنزيل ، فى سورة المُلك : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً ، فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، وإليه النشور » .ولحكمة ما ، تأتى تلك الآية الكريمة فى سورة « المُلك » . والعنوان يوحى بأن « الملك » لله ، مالك السموات والأرض وما بينهما ومن فيهن ، ومالك ـ أو مَلِك ـ يوم الدين ، يوم القيامة ، يوم « النشور » . والآية الثانية : « إن فى خلْق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولى الألباب » ـ آل عمران / ١٩٠ .

وانظر ـ هداك الله ـ إلى كلمة « جعل » ، وكلمة « ذلولاً » : جعل هنا بمعنى: « قَضى ،وأَمَر ، وسخَّر بعد أن أوجد » .هكذا بالنسبة للأرض ، ثم ذلّلها

«لكم» ، للناس جميعاً ، المؤمن والكافر ، العابد والعابث ، العالم والغافل .. جعلها طائعة منقادة لمن أراد أن ينتفع بها ـ وبما فيها وما عليها ـ إن شاء أن يزرع بها حدائق وحقولاً تُزهر وتُثمر ، استجابت ، إن أحسن التدبير والتعمير ، وإن شاء أن يفسدها ويُخربها ويزرع حقول ألغام لم تقاوم ولن تدفع الإتلاف والتدمير .. فإذا ما أصلح فى الأرض ـ بكل مكوناتها ومخلوقاتها ـ ومشى فى مسار عمله وإصلاحه واجتهاده ، عاد عليه ذلك بالنفع والكَسب ، فأكل ـ أى نعِم وأفاد واستفاد من رزق الله الناتج ، وإن هو أفسد فى الأرض ولوَّث ، ناله نصيب مما جنت يداه .. لأنه هكذا « جُعلت الأرض ذلولاً » . واختيار كلمة « الرزق » فى سياق الآية « وكلوا من رزقه » يلفت النظر إلى أن نتائج الأعمال الظنية فى هذه الحياة الدنيا مرهونة بإرادة الخالق عز وجل ، لأن «الرزق » غير « الكَسْب » .. فالرزق هو ما يأتيك من غير توقع ، أو من غير ما تؤكده معلوماتك ، وخبراتك ، وحساباتك ، وتقديراتك .. فهنا جانب متروك للظن والاحتمال والنجاح أو الفشل .أما «الكَسْب » ، فهو مقابل عمل معلوم مقطوع به لا ظن فيه ولا ترجيح . إن صائد الأسماك من البحر يعمل ويجتهد ويشقَى ، ولا يستطيع أن يقول : إننى سوف « أكسب » كذا من رحلة الصيد هذه ، لكنه حتما يقول : أرجو أن يكون « رزقى » منها طيباً واسعاً . أما عامل المصنع ، أو المتجر ، أو المكتب ، فهو مطمئن إلى أن « كسبه» فى آخر اليوم ، أو الأسبوع ، أو الشهر مقداره كذا، مقابل عمله ، إذا سارت الأمور على طبيعتها على النحو المقدور .

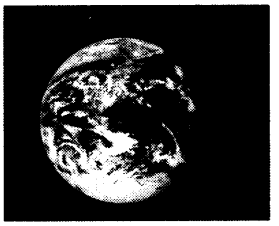
كرتنا الأرضية كما تبدو من الفضاء الخارجى .

لكن الآية الكريمة تشير بوضوح إلى أن « المشى » فى مناكب الأرض ، أى السعى بالعمل والاجتهاد فى أبسط المواقع والأمور وفى أصعبها ، ضرورة لا غنى عنها لنوال الرزق .ثم بعد ذلك : إلى الله تعالى المصائر والمنتهى ، كما كانت منه البشائر والمبتدا :« وكلٌّ أَتَوْهُ داخرين » ـ النمل ٨٧ .

ما معنى هذا كله فى مجال الحديث عن الاستنساخ ؟ . معناه فى منظور الإسلام : أن الله تعالى خلق الإنسان ، وأسكنه الأرض ، وجعلها ذلولاً له .. فكلما مشى فيها هذا الإنسان طريقاً يُفضى إلى علم ، أو كشف ، أو معرفة سرٍّ من أسرار مكوناتها (على سطحها ، أو فى محيطها الحيوى ، أو فى جوفها ، أو فى واحد من مخلوقات الله عليها..) ،وأراد الله له التيسير ، أفلح وتمكَّن ، ونال من رزق المنْعِم ، فاستفاد وأفاد، يستوى فى ذلك معرفة خلط الماء بالسكر بالبن لعمل قدح من القهوة ،أو تمهيد مساحة من الأرض ،وإلقاء بذور القطن فيها ، ثم ريِّها ورعايتها حتى تثمر محصولاً تصنع منه ملابس

وأغطية وسُتُر ، وسواء أفلح فى إعداد وجبة من « الكُشرى » (زراعة ، وصناعة،وتجارة ، وتسويقاً ، وطهياً) ، أو فتت ذرة صنع منها نظائر مشعة نافعة ، أو استولد طاقة محركة ، أو اخترع قنبلة رهيبة مدمرة ، وسواء نجح فى زرع أعضاء بشرية سليمة فى جسم بعض أجزائه تالفة مريضة ، أم استخدم ما مُنح من عقل وخيال وذكاء وفَطنة فى استنساخ « دولى ـ Dolly» النعجة التاريخية الشهيرة من خلية انتزعها من ضرع أمها ،ثم أسكنها موضع نواة بويضة ، على نحو ما أوضحته التجربة ..

انفجار ذرى

هذه جميعاً ـ وغيرها ، وما سوف يأتى ـ من مكونات الأرض ، ومن مخلوقات الأرض المذللة للإنسان .وقد أُمر أن ينظر ويتأمل ، ويفكر ويبحث، ويكتشف ويعمر ، وأن يصنع من خَلْق الله ما ينفع مخلوقات الله ، بشرط واحد: ألاَّ يفعل ما يفسد ويضر، وألاّ يستخدم النعمة فى الإيذاء بِشرّ،ألاَّ يطغى « بالرزق »؛ فيتكبر ويتجبر ؛ فتكون عاقبته وخيمة.. فقانون الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ لا يُحابى ، ولا يدارى ، ولا يحيد .. ففى سورة إبراهيم : «لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد » . والكفر هنا ليس الكفر بالله وحسب ، وإنما التنكر للنعمة وللعطاء الممنوح والرزق ، نتيجة لإفساده ، أو إنكاره ، والعبث أو الإضرار به ، لأن الشكر إعلان وإقرار ، يقابله الإخفاء والإنكار ، وهذا ما يوافق سياق الآية .. ولأن الزارع يسمَّى فى اللغة كافراً، إذ هو يُخفى الحَب فى الأرض يزرعه ، والليل أيضاً كافر، لأنه يحجب ضوء النهار .. فيكون منطقيًّا وقوع العذاب الشديد فى الدنيا قبل الآخرة . ويعزز ذلك قوله تعالى فى سورة طه :« فمن اتَّبع هُداى فلا يضل ولا يَشْقَى ، ومن أَعْرض عن ذِكْرى فإن له معيشةً ضَنْكا » ـ ١٢٣ ـ ١٢٤.

نجح الإنسان فى الوصول إلى القمر وفشل فى الوصول إلى قلوب جيرانه فى الإنسانية على الأرض !

أما عن الاستنساخ فى النبات والحيوان ، وما انتهى إليه القرن العشرون فى هذا الشأن ـ وما زال يبحث ويجرب ـ فلسوف نتناوله بالتفصيل فى الجزء الخاص عن مسيرة العلم والتكنولوجيا فى هذا القرن .

كان ـ بحق ـ قرناً ثريًّا بالاكتشافات والإنجازات العلمية وتطبيقاتها ، وبالمستحدثات التكنولوجية ، يفوق بكثير ما سبقه من كشف وإنجاز فى قرون مضت.. لكنه لم يبدأ من فراغ ، ولم تظهر إبداعاته فجأة .. فهو امتداد زمن متواصل، وسبقته أعمال وابتكارات، ومهَّدت له نظريات واختبارات .. فأكمل هو وأضاف ، وتزوَّد وزاد . وتلك سُنة الحياة ، وطبيعة التطور .. إذ كان مستحيلاً ـ ولا يطرأ على الخيال أو الفكر ـ أن يركب إخناتون دراجة بخارية (موتوسيكل) ، أو يحلِّق نابوليون فى مركبة فضائية من طراز أبوللو

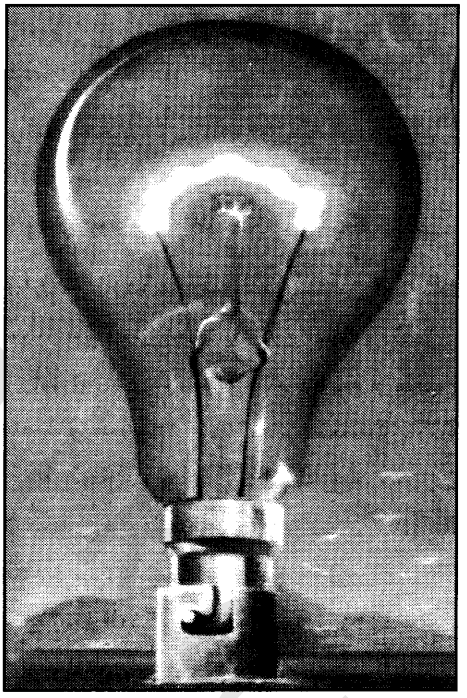

سبقت القرن العشرين أعوام مثيرة فى الكشف ، والاختراع ،والتصنيع ، والتجديد، والتطوير ، سريعة الإيقاع ، شديدة فى المنافسة.. فلما دخلت عناصرها تحت مظلة القرن العشرين ، أخذت تهدأ رويداً رويداً، وتنمو وتتكاثر على مهل .

شهدت تلك السنوات الأولى من القرن العشرين إنجازات عملية وتكنولوجية كثيرة ومبهرة ، لم يستطع العقل الجمعى وقْتها أن يدرك أبعادها ، ولا مدى تأثيراتها ونتائجها .. لكنها ـ يقيناً ـ غيَّرت من شكل وشمائل وإيقاعات الحياة فى هذا القرن ، وما سوف يليه ، فى مجالات شتى . ويكفينا الآن أن نشير إلى مثال واحد ، إلى أن نتناول الموضوع ـ فيما بعد ـ بالقدر المناسب من التوسع والتفصيل : مجال النقل والمواصلات ..

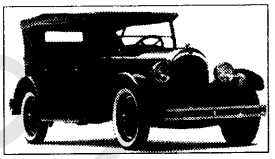

على الأرض ، بدأت عربات الجر ـ التى تجرها الخيول والدواب منذ أيام الفراعنة المصريين ، وبلاد ما بين النهرين ـ بدأت فى التراجع ومواجهة التحدى الغلاب لآلات البخار ، وطاقة الكهرباء وما تسيِّران من عربات ومرْكبات . ثم قدَّمت ألمانيا محركات الاحتراق الداخلى ، التى كانت فى البداية تعمل بغاز الفحم ، ثم تلتها تلك التى تعمل باحتراق البترول ؛ فكان ذلك إيذاناً بانطلاقة « ثورة » كبرى فى تاريخ النقل . إنه ـ بحق ـ قرن السيارة ، بعد قرن السكك الحديدية (التاسع عشر) التى انتشرت فى بلاد العالم بسرعة مدهشة ، منذ أن وضع روبرت ستيفنسن موضع التنفيذ والاستخدام العملى، الابتكار الذى صنعه المهندس « كورنيش » ، وهو أول قاطرة بخارية . وقرب نهاية القرن ١٩ ، كان الناس قد تعودوا على خطوط السكك الحديدية فوق الأرض ، وتحت الأرض وفى الأنفاق .

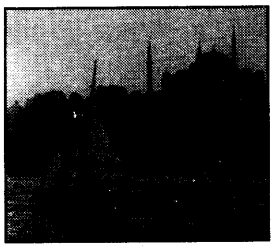

وفى الوقت نفسه ، ومع انتشار شبكات الطرق والسكك الحديدية ، أقيمت شبكات النقل عبر القنوات المائية . وبفضل التطور فى العلوم الهندسية والمائية ، شُقَّت القنوات العالمية الضخمة التى ربطت قارات العالم بحريًّا ، مثل قناة السويس ، وقناة كورينث، وقناة كيل . وبدأ العمل فى قناة باناما ، لكنها لم تكتمل فى القرن ١٩ .

وامتد التطور بالضرورة إلى صناعة السفن ؛ فتطورت ، ونجح بناء السفن الحديدية الكبيرة . كما تطورت المحركات والآلات ، بعد ابتكار سير «شارل بارصونز » المحرك التوربينى البخارى البحرى ؛ فأصبح فى مقدور السفن ـ ذات المحركات قوة ٣٠ ألف حصان ـ أن تنقل الركاب والبضائع

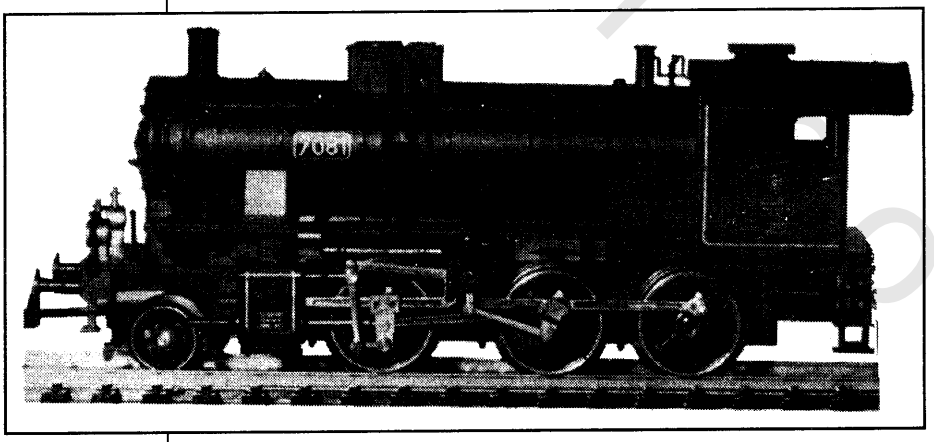

بحمولة ١٣ ألف طن ، وبسرعة ٢٠ عقدة (٣٧ كم) فى الساعة ، مما غيَّر تماماً مستويات السفر والنقل عبر القارات . ثم كان ميلاد السفن الضخمة والعملاقة التى تَعْبر المحيطات فى سرعة وأمان ، وتتجاوز ٢٢ عقدة (٤١,٤ كم) فى الساعة .

ثم اكتشف الإنسان أن سطح البحر لا يكفى . لماذا لا يغوص وينتقل فى «مَرْكبات » تجتاز الأعماق ؟؛ فصنع الغواصات بفضل تقدم العلوم البحرية والهندسية ، التى واكبت اختراع الفونوغراف (الجراموفون) الذى يسجل الأصوات والموسيقى ، وابتكار آلة التصوير (الكاميرا) التى تسجل أشكال الوجوه ، ومشاهد الأحداث ، وبعد أن أضاءت الكهرباء الشوارع والمصانع والبيوت ، وتمكن الناس من التخاطب من مسافات بعيدة ، من خلال الهاتف (التليفون) ، ويسَّرت الآلة الكاتبة العمل والأداء داخل المكاتب ، وأراح الترام الكهربائى الناس من عناء الانتقال والتزاحم فى طرقات المدينة ، وبعد أن أمْتَعت السينما جماهير المشاهدين فى دور العرض ، وانتقلت الرسائل «بسرعة البرق » بين المدن والقارات بفضل التلغراف الكهربائى . وأخيراً ، فى نهاية القرن (١٩) يقدم (ماركونى) للعالم نظام التلغراف اللاسلكى ، مع بداية ظهور السيارات (١).

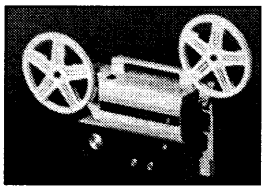

وبالرغم من هذه الإنجازات والتطورات العلمية والتكنولوجية المبهرة ، عظيمة النفع ، بقى مجال فسيح رحيب ، باءت كل محاولات اقتحامه المتكررة بالإحباط والفشل : أن يطير الإنسان ويحلِّق فى الفضاء الجوى ،كما تفعل النسور والطيور .

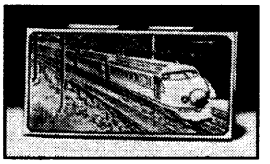

لقد حاول بالفعل ، ونجح فى الصعود إلى طبقات من الهواء غير بعيدة عن الأرض ، ولكن فى غير مرْكبات ، وإنما فى بالونات ترتفع بالغاز الساخن (كانت أول محاولة ناجحة للأخوين جاك وجوزيف مونجولفييه الفرنسيين، فى ٢١ نوفمبر ١٨٧٣) ، لكنها لم تكن آمنة ، ولمسافات محدودة ، وتبعاً لتحسن الأحوال الجوية .

---

(١) القطار ، والسيارة ، والطائرة (مع التليفون والتلغراف والإذاعة اللاسلكية) هى التى أكسبت القرن العشرين طابع الدقة فى حساب الوقت والوصف « بعصر السرعة » . وبينما كانت السيارات فى أوائل القرن تجرى بسرعة ١٠ و ٢٠ كم / ساعة (والناس معجبون بها) ، إذا بها فى أواخر نفس القرن تتجاوز سرعة الصوت : ففى أكتوبر ١٩٩٧ نجح « آندى جرين » فى قيادة سيارة صاروخية على أرض صحراء نيفادا الأمريكية (طول السيارة١٦,٥م) بسرعة ١٢٢٨ كم / ساعة أى أسرع من الصوت (سرعته عند سطح البحر ١٢٠٤ كم / ساعة) . والمشكلة هى : أين تستخدم تلك السيارة؟

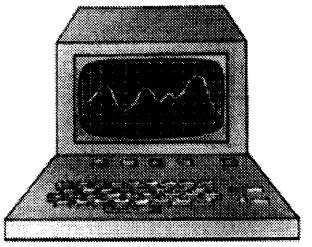

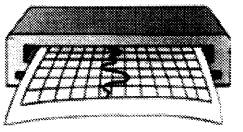

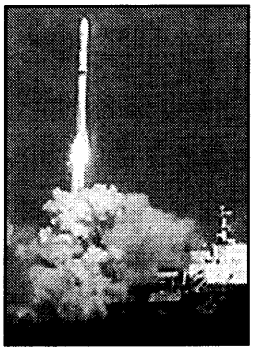

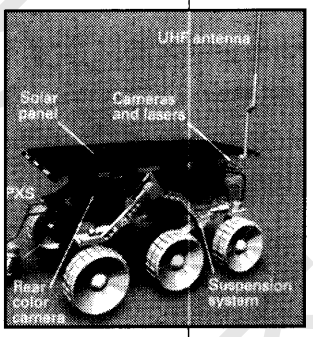

مركبة المريخ تمشى على سطحه

ولم ييأس الرواد المبتكرون . واستفادوا من شكل البالونات الهوائية الأسطوانى، وفكروا فى اختراع « مركبة » هوائية تعمل بخزانات تُملأ بالغاز، وبنظام يتحكم فى القيادة والتوجيه .. فكانت أول محاولة ناجحة فى فرنسا بمركبة صنعها « شارل رنار ، وأ. س . كربْس » أطلقا عليها اسم « فرنسا » ، ذات مروحة واحدة كبيرة ، بمحرك قوته تسعة أحصنة (كهربائى) ، واستطاعا التحليق فى الجو يوم التاسع من أغسطس ١٨٨٤ لأول مرة ، فى جولة دائرية لمسافة ثمانية كيلو مترات ، وبسرعة أقصاها ٢٣,٣ كم / ساعة .

ثم تتابعت المحاولات .. ونجح فى فرنسا « ألبرتو سانتوس ريمو » البرازيلى الشاب، فى محاولته السادسة ، وحلَّق بمركبته الهوائية(وكانوا يسمونها فى المحاولات الأولى : سفينة الهواء) ، بمحرك قوته عشرون حصاناً، يعمل بالبترول ، وبتبريد مائى، وأمضى فى الجو ثلاثين دقيقة ، محلقاً حول برج إيفل، وذلك فى عام ١٨٩٨ .

فى بريطانيا ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى ألمانيا ، كانت محاولات أخرى كُللت بالنجاح فى أوائل القرن العشرين . واستطاع الأخَوان الأمريكيان «أورفيل ـ وويلبورت رايت » الاستفادة من اختراع « ديملر » الألمانى للمحرك البترولى ، فنجحا عام ١٩٠٣ فى الطيران جوًّا . وهما أول من أطلق على المركبة أو « السفينة الهوائية » اسم « طيارة » أو طائرة ، التى انتهت فى أواخر القرن إلى تجاوز سرعة الصوت ، وإلى سفن الفضاء ، ورحلات أبوللو بالإنسان إلى القمر، ثم إلى مركبة متحركة على سطح المريخ! .